









39141

PT8-10% Ahlyyad
2/2/48

أبوالعباس أحمدي

الشاعر العسالي

تأليف

عبد المتعال إصعید

المدرس بالجامع الأزهر

(الطبعة الأولى)

« حقوق الطبع محفوظة للمؤلف »

يُطلب من مكتبة الشرق الأوسط أن تُطبعها

في دار الكتب المصرية
١٤٨ شارع محمد علي (الاسم) دار الكتب المصرية
١٩٣٩ - ١٣٥٨ م

القاهرة

مطبعة الشرق الانجليزية

893.7A68

Sa21

45-39141

COLUMBIA
UNIVERSITY
LIBRARY

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى جعل البيان زينة الانسان ، والصلاة والسلام
على محمد أفصح ولد عدنان ، القائل إن من البيان لسحراً، وإن من
الشعر لحكمة

أما بعد — فان جمهور علماء الأدب على أن بشار بن برد
زعيم الشعراء المحدثين ، لأنه هو الذى ابتدأ الشعر المحدث ، وكان
القنطرة التى عبر عليها الشعراء بعده إلى هذا الشعر ، ولما كان
ذلك وحده لا يودى إلى تلك الزعامة على أولئك الشعراء ، وكان
أبو العتاهية أولى عندى بها عليهم ، ألفت هذا الكتاب لاثبات
ما أراه من ذلك رأى ، وسميته (أبو العتاهية — الشاعر العالمى)
على أنى أرى أن تلك الزعامة يجب قصرها على صدر ذلك
العصر الذى ظهر فيه ذلك الشعر المحدث ، ولا يصح أن تمتد إلى
ما بعده ، لأن ذلك العصر يمتد إلى أيامنا الحاضرة ، وقد حدث فيه
من الانقلابات فى الشعر والأدب ما يجعل لكل انقلاب زعيماً ، ومن
المجازفة الحكم بزعامة شاعر واحد لذلك العصر على طوله وامتداده ؟
عبد المتعال الصعیدی

تمهيد

شيوخ شعرا أبي الشعراء العالميون في شعراء العربية قليل عددهم ، وربما يكون العتاهية في العالم أبو العتاهية أول شاعر عربي بلغ هذه المنزلة الشعرية العالية ، فكان له شعر عالمي تتسابق الأمم المختلفة اللغات إلى روايته ودراسته ، وإلى نقله إلى لغاتها ، وإذاعته في بلادها ، قال أبو الفرج الإصْبَهَانِيُّ ، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد الأسدي إجازة ، قال حدثني الرياشي ، قال : قدم رسول ملك الروم إلى الرشيد فسأل عن أبي العتاهية ، وأنشده شيئا من شعره ، وكان يحسن العربية ، فمضى إلى ملك الروم وذكره له ، فكتب ملك الروم إليه ، ورد رسوله يسأل الرشيد أن يوجه بأبي العتاهية ، ويأخذ فيه رهائن من أراد ، وألحَّ في ذلك ، فكلَّم الرشيد أبا العتاهية في ذلك فاستعفى منه وأباه ، واتصل بالرشيد أن ملك الروم أمر أن يكتب بيتان من شعر أبي العتاهية على أبواب مجالسه وباب مدينته ، وهما :

ما اختلف الليلُ والنهارُ ولا

دارتْ نجومُ السماءِ في الفلكِ

إلا لنقل السلطان عن ملك

قد اتقضى ملكه إلى ملك

وقال أبو الفرج أيضا أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق وعمى
الحسن بن محمد وحبيب بن نصر المَهْلَبِيُّ ، قالوا حدثنا عمر بن شبة
قال : مر عابد براهب في صَوْمَعَةٍ فقال له عظمي ، فقال : آعْظُكَ
وعليكم نزل القرآن ، ونبئكم محمد صلى الله عليه وسلم قريب
العهد بكم ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله ؟ قلت نعم ، قال :
فاتعظ بييت من شعر شاعركم أبي العتاهية حين يقول :

تَجَرَّدُ من الدنيا فانك إنمّا وقعتَ إلى الدنيا وأنت مُجَرَّدُ

وقد روى المسعودى هذا بطريق آخر فقال : مرّ عابد براهبٍ
في صَوْمَعَةٍ فقال له عظمي ، فقال : أَعْظُكَ وشاعركم الزاهد قريب
العهد بكم ، فاتعظ بقول أبي العتاهية حيث يقول :

أَلَا كُلُّ مَوْلُودٍ فَلِلْمَوْتِ يُولَدُ

وَلَسْتُ أَرَى حَيًّا لَشَيْءٍ يُخَلَدُ

تَجَرَّدُ عن الدنيا فانك إنمّا

سَقَطْتَ إلى الدنيا وأنت مُجَرَّدُ

وَأَفْضَلُ شَيْءٍ نَلْتَ مِنْهَا فَإِنَّهُ

مَتَاعٌ قَلِيلٌ يَضْمَحِلُّ وَيَنْفَدُ

وَكَمْ مِنْ عَزِيزٍ أَعْقَبَ الدَّهْرُ غِرَّةً
فَأَصْبَحَ مَحْرُومًا وَقَدْ كَانَ يُحْسَدُ (١)

فَلَا تَحْسُدِ الدُّنْيَا وَلَكِنَّ دُمُومَهَا
وَمَا بَالُ شَيْءٍ ذَمَّهُ اللَّهُ يَحْمَدُ

وكل هذا يثبت لنا أن أبا العتاهية كان شاعرا عالميا تباهى
العربية به غيرها من اللغات ، وهذا على قلة هذا الصنف من الشعراء
عندنا ، وندرة الشعر العالمي في شعرنا ، وسنبين الآن العوامل التي كان
لها أثرها في هذا إلى ظهور شاعرنا أبي العتاهية ، لنعرف كيف ظهر في
الشعر العربي بهذا المظهر ، ونعرف حال العصر الذي نشأ فيه ، وكيف
كان أثره في شعره

يذهب علماء الأدب إلى أن الصناعة البدئية لم تظهر في الشعر
العربي ، ولم يسكلف بها شعراء العرب ، إلا في العصر العباسي ،
وذلك بعد ظهور أبي تمام ومن حاكاه في تكليف تلك الصناعة ،
إلى أن جعلوا من الشعر صناعة افظية لا تنطوي على معنى جليل ،
أو غرض نبيل ، وإنما هي ألفاظ جوفاء لا طائل تحتها ، ولا فائدة فيها
للناس في دينهم أو دنياهم

ندرة الشعر
العالمي في
العربية

(١) وفي رواية أعقب الدهر عزه فأصبح مرجوما

وإني أخالف في هذا أولئك العلماء ، وأرى أن الشعر العربي نشأ
صناعة لفظية ، ووجدت فيه العناية بالبديع من حين ظهوره ، فكان
الشعراء قبل الاسلام يتكلفون صناعة البديع كما تكلفها أبو تمام
ومن أتى بعده ، وإن لم يبالغوا في هذا ما بلغه أبو تمام والمقلدون له ،
وإني أرى أن أبا تمام لم يكن منه إلا إعادة هذه السنة في الشعر ،
بعد أن كاد فريق كبير من الشعراء العباسيين قبله يسلك بالشعر
مسلكا جديدا يخالف هذا المسلك ، ويتناسب مع حال العصر
الذي ظهر فيه ، ويتفق مع ذوقه وثقافته

فامرؤ القيس لا أبو تمام هو أول من عني في الشعر بالصناعة
البديعية ، وتكلف منها ما لم يتكلفه أحد قبله ، حتى تراجعت في
شعره التسمييات والمجازات والاستعارات والكفانيات وما إليها ،
فكل هذا من الصناعة البديعية ، لأن اسم البديع يشملها عند
القدماء ، كما يشمل المقابلة والجناس ونحوهما

وقد ضاع أكثر شعر القدماء قبل امرئ القيس ، فلا يمكننا
أن نعرف مقدار ما كان فيه من تلك الصناعة ، والظاهر أنه كان
يغلب عليه العناية بالمعاني الأصلية ، فكانت تظهر فيه على فطرتها
من غير تصنع ولا تكلف ، ولا اجتهد في تزينها بتشبيه أو نحوه
ما يرجع إلى عمل الخيال ونحوه

وقد ذكر علماء الأدب أن القدماء قبل امرئ القيس كانوا يقولون في المرأة الحسناء أسيلة الخلد ، تامة القامة أو طويلة لها ، جيداء أو طويلة العنق ، فقال امرؤ القيس في هذا : أسيلة مجرى الدمع ، بعيدة هوى القرط

وأنهم كانوا يقولون في الفرس : يلحق الغزال ، ويسبق الظليم ، فقال امرؤ القيس في هذا (بِمَنْجَرٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْسَكِلٍ) ومثل هذا يمكننا أن نعرف به مقدار العناية بتلك الصناعة في الشعر العربي قبل امرئ القيس وبعده

وقد شُغِفَ الشعراء بعد امرئ القيس بما بدأ به في الشعر العربي من العناية بتلك الصناعة ، وكانت حياتهم البدوية تضيق بهم ، وتضيق معها عقولهم وأفكارهم ، فوقفوا بالشعر عند معانٍ محدودة ، متأثرة في ضيقها وقلة أثر العقل المُشَقَّفِ فيها بضيق تلك الحياة ، وقلة أثر الثقافة فيها ، وكانوا يدورون حول تلك المعاني كما تدور الرحى حول محورها ، ولا يتصرفون فيها إلا بتشبيهه أو استعارته أو كناية أو نحو هذا من تلك الصناعات التي تنافسوا فيها ، حتى وصلوا بها في سجع كَهَانِهِمْ إلى آخر حدودها ، فكان لهم سجع متكلف مرذول لا يقل قبحا عما تكلف منه في آخر العصر العباسي ، وهكذا صار

الشعر العربي إلى تلك الصناعة اللفظية التي لا يصلح معها أن يكون شعرا عالميا

ثم اتخذ أولئك الشعراء الشعر تجارة فزادوا الطين بلةً ، وأفسدوا غرض الشعر بعد أن جعلوه جامد اللفظ والمعنى ، فتكسبوا به في المدح والهجاء ، وداروا به في تلك المعاني الضيقة ، وساء أثر هذا الشعر في الأمة العربية ، وصار شعراؤها معاول هدم في بنائها ، جامدين على ما ألفوه من هذا جمود أمتهم على أوثانها وأصنامها ، حتى صارت هذه الأمة المسكينة إلى ذلك الجمود الديني والأدبي في عصرها الجاهلي

وقد أراد الله رفع شأن هذه الأمة في الدين والأدب ، فأرسل إصلاح الاسلام
في الشعر فيها محمدا صلى الله عليه وسلم ، وأنزل عليه القرآن الذي بلغ أعلى مراتب الفصاحة ، ودعاهم إلى ذلك الدين الذي يؤلف بينهم ، وينهض بهم في دنياهم وآخرهم ، فحارب أولئك الشعراء هذا الدين الجديد ، لأنهم رأوا فيه خطرا على جمودهم الديني والأدبي ، وقد حاربهم هذا الدين كما حاربوه ، وأزرى بشعرهم وأديبهم ، وماهم فيه من جمود وضيق فكر ، ودعا إلى أدب مُتَقَفٍ يعني فيه بالمعاني الأصلية السامية أكثر مما يعني بتلك الصناعة اللفظية ، ولا تؤثر فيه

المعاني الثانوية على المعاني الأصلية ، لأن الشعر والأدب يبعدان عن غايتها السامية في الحياة بقدر ما يُوغِلَانِ في العناية بالألفاظ ، إذ تصرفها عن الغاية التي تتفق مع دعوة هذا الدين الذي جعل للبشر كافة ، وتقف حائلاً دون فهم الناس لها ، والعناية فيها بما يعينهم منها وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكره تشادق أولئك

الشعراء ومن يتهج بهم ، ومن هذا أن بعضهم تشادق أمامه بهذا السجع : يا رسول الله أرايت من لاشرب ولا أكل ، ولا صاح فاستهل ، أليس مثل ذلك بطل ؟ فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال له : أسمع كسجع الجاهلية ، وقد افتخر صلى الله عليه وسلم بنشأته على بغض شعرهم فقال : لما نشأت بغضت إلى الأوثان ، وبغض إلى الشعر ، ولم أهتم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله — الحديث

وهكذا نظر القرآن الكريم إلى أولئك الشعراء ، وإلى شعرهم ، فقال فيهم من سورة الشعراء (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) وقال في شعرهم من سورة يس (وَمَا عَلَّمْنَاهُ

الشَّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ

إهمال بني
مروان ذلك
الاصلاح

وقد انقضى عهد النبوة والخلافة في محاولة إصلاح الشعر والشعراء ،
والوصول بالأدب العربي إلى الغاية السامية التي تتفق مع دعوة
الاسلام ، ثم جاء عهد بني مروان بعد عهد النبوة والخلافة ، وكانوا
من بني أمية الذين كانت تغلب النُّعْرَةُ العربية عليهم ، لما كان لهم
قبل الاسلام من الزعامة في قريش ، وهذه النعرة هي التي جعلتهم
على رأس المناوئين للدعوة الدينية العامة التي دعا إليها الاسلام ،
فلم يدعوا لها إلا بعد فتح مكة ، وإلا بعد أن رأوا أنه لا مناص لهم
من الاذعان لها ، وقد بقيت فيهم تلك النعرة بعد إسلامهم ، فتأثروا
بها في سياستهم حينما صارت الدولة لهم ، ورجعوا بالشعر إلى نعرتهم
العربية ، وحولوه عن وجهته الصالحة التي أخذ يتجه إليها على عهد
النبوة والخلافة ، وقطع فيها شوطا لا بأس به

ولقد ناهضهم بنو هاشم قوم النبي صلى الله عليه وسلم وعشيرته
الأقربون ، وهم الذين كانوا أول من بادروا إلى الإيمان بدعوته ، وفهم
حقيقة ما يدعو إليه ، وعرف الغاية التي تتجه إليها دعوته ، وأن
هذا الدين للبشر عامة ، لا للعرب خاصة ، وأنه لا يصح أن يكون
فيه فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، كما قال تعالى في سورة

الْحُجُرَاتِ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ
اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)

وما زالوا يعملون على إسقاط تلك الدولة الجامدة المتعصبة للعرب
على غيرهم من الشعوب الإسلامية حتى تم لهم إسقاطها، وأقاموا بعدها
دولتهم العباسية ، فنشأت دولة إسلامية خالصة ، وارتفعت فيها
رؤوس الشعوب المسلمة من غير العرب ، كالفرس والترك
 وغيرهم ، وكان لهم نفوذ فيها ما زال يقوى حتى غلب على
نفوذ العرب

النهضة الشعرية
في صدر الدولة
العباسية

ولقد كان قيام هذه الدولة العباسية ثورة دينية سياسية أدبية
على تلك التقاليد العتيقة التي كانت الدولة العروانية تأخذ بها في
الدين والسياسة والأدب، وكانت غاية هذه الثورة إقامة دولة للمسلمين
عامة ، لا للعرب خاصة ، وانتهاج خطة جديدة في السياسة الإسلامية
تأخذ بيد كل الشعوب التي دانت للإسلام ، لتشارك في بناء الوحدة
الإسلامية ، وقد كان لهذا كله أعظم الأثر في الدين والعلم والأدب
والشعر ، إذ أخذ العلماء من كل هذه الشعوب يشتركون في بناء

هذه الوحدة ، وأخذ الأدباء والشعراء يَقْضُونَ على تلك النعرة العربية في الأدب والشعر ، ويعملون على تسهيل الشعر العربي للناس ، وتقريبه إلى تلك الشعوب الأعجمية التي رفعت رؤوسها في الدولة العباسية ، وكان كثير من أولئك الشعراء يَمْتُّ إلى أصل غير عربي ، فانتهزوا فرصة قيام هذه الدولة وإنصافها لهم ، وقاموا بشورة شديدة على تقاليد القدماء في الشعر ، وعنايتهم بتفخيم اللفظ ، حتى ابتدأ بهم عصر جديد في الشعر والأدب ، وانتهى بشورتهم عصر الشعراء الأقدمين ، وظهر بهم عصر الشعراء الحداثين ، وكانت الزعامة في هذا العصر الجديد لأولئك الشعراء الذين كانوا من أصل غير عربي ، أما الشعراء الذي كانوا من أصل عربي فقد ضعف شأنهم فيه ، لأنهم جاهدوا في شعرهم على نعتهم العربية ، وكانت عنايتهم بتفخيم لفظ الشعر وتجويد صناعته أكثر من عنايتهم بتقنيته وتهذيبه والتفنن في معانيه وأغراضه ، ولم يعد شأن هؤلاء الشعراء إلى الظهور إلا بعد ظهور أبي تمام والمتنبي والبختری وأضرابهم من الشعراء الذين عادوا بالشعر إلى سُنَنِهِ القديمة ، وَمَحَوْا فيه آثار تلك الثورة

ولهذا أختار أن أضع لعصر صدر الدولة العباسية اسم (عصر

النهضة الأدبية الأولى) فهو خير من ذلك الاسم الذي يسمونه به ،
وأدل على ما امتاز به الشعر والأدب فيه ، وقد كان أعلام الشعر في
هذا العصر هؤلاء الشعراء الثلاثة — بشارٌ وأبو نُوَاسٍ
وَأَبُو الْعَتَاهِيَةِ — فلنوازن بينهم في هذا العصر ، لنعرف أيهم
كان أكثر تأثيراً بتلك الثورة التي قامت فيه .

أبو العتاهية وبشار وأبو نواس

كان هؤلاء الشعراء الثلاثة أعلام تلك الثورة في الشعر ، فقصوا حال الثلاثة في النهضة الشعرية فيها على طريقته القديمة التي مكثت طول عصر بني مروان جامدة على حالها قبل الاسلام ، لا تفكر في تجديد ، ولا تنظر إلى مآثر في العرب من أحداث دينية وسياسية واجتماعية : خلقت منهم أمة جديدة ، وشعباً يتألف من أجناس مختلفة ، وينظر إلى الشعر والأدب نظراً جديداً يخالف نظر العرب الخُلص ، وله ذوق في هذا أرق من ذوقهم ، وقد بدأت هذه الثورة هادئة في بشار بن برد ، ثم صارت إلى درجة من الشدة في أبي نواس ، ووصلت إلى غايتها في أبي العتاهية

وكان مظهر هذه الثورة في أربع نواح من الشعر : أولها ألفاظه ومعانيه ، وثانيها طريقته ومذهبه ، وثالثها أغراضه ومقاصده ، ورابعها أوزانه وقوافيه

أثرهم في ألفاظه
فما ألفاظ الشعر ومعانيه فقد اشترك الثلاثة في الثورة عليها ، الشعر ومعانيه

فقلوا الشعر من المأظه البدوية الخشنة ومعانيه الجامدة المحدودة إلى
الأنفاظ العربية أنحصرت السهلة ، ومعانيها الرقيقة المهدبة ، وكان
بشار أول من عمل في نقل أنفاظ الشعر ومعانيه من البداوة إلى
الحضارة ، وقد قضى شطرا كبيرا من عمره يأخذ بطريقته وحده ،
وشعراء العصر المرواني يحيطون به من كل جانب ، ويعلمون عليه ،
تلك الطريقة الجديدة التي يأخذ بها ، ويرمونه بالقصور والعجز عن
الالحوق بالفعول من الشعراء ، فكان يؤثر هذا فيه بعض التأثير ،
ويعسكه عن الغلو والاندفاع في طريقته ، ويجعله يأخذ أحيانا في
تقليد أولئك الفحول ، والأخذ بطريقتهم في إظهار الغريب ، والقصد
إلى الأنفاظ الضخمة

ومن ذلك أن رؤبة بن العجاج^(١) مدح عقبة بن مسلم
بأرجوزة من أراجيزه وبشار حاضر يسمعه ، فاستحسن ذلك من
رؤبة ، فقال له رؤبة : هذا طراز لا تحسنه أنت يا أبا معاذ ، وكان
رجزم في ذلك الوقت يتأثر بطريقتهم البدوية إلى غايتها في إظهار
الغريب ، فتأثر بشار من ذلك ، وأنشأ أرجوزة في مدح عقبة بن
مسلم يعارض بها أرجوزة رؤبة ، وهي :

(١) وفي كتاب الشعر والشعراء عقبة بن رؤبة

يَاطْلُلَ الحى بذات الصمد
 بالله خبر كيف كنت بعدى
 أحسنت من رعدٍ وترب رعدٍ
 سقيًا لأسماء ابنة الأشد
 قامت تُرائى إذ رأتى وحدى
 كالشمس تحت الزبرج المنقذ
 إلى أن قال فى مدح عقبه :
 إسم لم وحييت أبا الملد
 مفتاح باب الحدّث المنسد
 مشترك النبل وري الزند
 أغر لبّاس ثياب الحد
 لله أيامك فى معد
 وفى بنى قحطان غير عد
 كل امرئ رهن بما يؤدى
 وربّ ذى تاج كريم الجد
 كال كسرى وكال برّد
 أنكب جاف عن سبيل القصد
 فصلته عن ماله والولد

وروى عن الأصمعي أنه قال : كان أبو عمرو بن العلاء وخلف
الأحمر يأتیان بشارا فيسلمان عليه بغاية الاعظام ، ثم يقولان : يا أبا
معاذ ما أحدثت ؟ فيخبرهما وينشدهما ويكتبان عنه متواضعين له
حتى يأتي وقت الزوال ، ثم ينصرفان ، فأتياه يوما فقالا : ماهذه
القصيدة التي أحدثتها في ابن قُتَيْبَةَ ؟ قال هي التي بلغتكما ، قال
بلغنا أنك أكرت فيها من الغريب ، قال : نعم ، إن ابن قتيبة
يتباصر بالغريب ، فأحببت أن أُورِدَ عليه ما لا يعرف ، قال
فأنشدناها يا أبا معاذ ، فأنشدها :

بَكْرًا صَاحِبِي قَبْلَ الْهَجِيرِ

إِنَّ ذَاكَ النِّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ

حتى فرغ منها ، فقال له خلف : لو قلت يا أبا معاذ مكان « إن
ذاك النجاح » « بكرة فالنجاح » كان أحسن ، فقال بشار : إنما
بنيتها أعرابية وحشية ، فقلت « إن ذاك النجاح » كما يقول
الأعراب البدويون ، ولو قلت « بكرة فالنجاح » كان هذا من كلام
المولدين ، ولا يشبه ذلك الكلام ، ولا يدخل في معنى القصيدة ،
فقام خلف فقبل بين عينيه

وهذه القصة تدل على أن طريقة المولدين الجديدة كانت قد
نقررت في ذلك الوقت ، وصارت واضحة النهج ، معروفة اللفظ

والأسلوب ، وأن بشارا كان لا يعدل عنها إلا لأسباب تجهله يتكاف
طريقة الأقدمين ، ليثبت لهم قدرته عليها ، وأنه يهجرها عامدا ،
ويتركها عن اعتقاد بأنها صارت غير لائقة بعد انتقال الأمة من
البداوة إلى الحضارة ، ومن خشونة العيش إلى لينه ، ومن ظلمة
الأمية إلى نور العلم ، ولسكنه لم يصل في ذلك إلى ما وصل إليه
أبو نواس وأبو العتاهية من تلك السهولة الممتنعة ، وتلك الرقة التي
تزرى بما كان لهم من ضخامة وفخامة ، وكان أبو العتاهية يبلغ في
هذا مالا يبلغه أبو نواس ، فهو أكبر الثلاثة خطأ في تلك الثورة
من ناحية اللفظ والمعنى

أثرهم في
طريقته

وأما طريقة الشعر فإن بشارا لم يحدث فيها شيئا يذكر ، بل
مضى في ابتداء الشعر بالنسيب كما مضى فيه من قبله من الشعراء
الأقدمين ، وقد ثار أبو نواس في شعره على هذه الطريقة ، وأخذ
على أصحابها ماشعِفُوا به من البكاء على الأطلال والدَّمنِ ، في عصر
الحضارة والعيش المستقر في القرى والمدن ، ونعى عليهم النسيب
بهند ودَعْدٍ وغيرها من البدويات بعد أن ذهب عصرهن ،
وامتلات القصور بتلك الجوارى المهذبات ، والنساء الفاتنات ، ومن
ذلك قوله :

صِفَةُ الطُّلُولِ بِإِلَاقَةِ الْقِدَمِ

فاجعل صفاتك لابنة السَّكْرَمِ

وقوله :

لَا تَبْكِي لَيْلِي وَلَا تَطْرَبِي إِلَى هِنْدٍ

واشرب على الْوَرْدِ مِنْ حَمَاءِ كَالْوَرْدِ

وقوله :

سَقِيًّا لَغَيْرِ الْعُلِيَاءِ فَالْسِّنْدِ

وغير أَطْلَالِ مَيِّ بِالْجَرْدِ

وقوله :

يَا رَبِّعُ شُغْلِكَ إِنِّي عَنْكَ فِي شُغْلٍ

لَا نَاقِي فِيكَ لَوْ تَدْرِي وَلَا جَهْلِي

وقوله :

تَبْكِي عَلَى طَلَلِ الْمَاضِينَ مِنْ أَسَدٍ

لَا دَرَّ دَرَّكَ قَل لِي مِنْ بَنُو أَسَدٍ

لَا جَفَّ دَمْعُ الَّذِي يَبْكِي عَلَى حَجَرٍ

وَلَا صَفَا قَلْبٌ مِنْ يَصْبُو إِلَى وَتَدٍ

وهذه ثورة على القديم حقا ، ولسكنها ليست هي الثورة

الصحيحة التي يُجَدَّرُ اسم الثورة بها ، ويصح أن تكون

تجديدا في الشعر والأدب، وإمامي ثورة شعوبية عابثة، ولا فرق
عندي بين ابتداء القصيد بالنسيب ووصف الحمر، وربما يكون
ابتدائها بالنسيب أروح عند النفس، وأخف في السمع، وإعما
التجديد الصحيح في هذا ما سبق إليه شاعر عصر بني مروان العظيم،
وهو الكميّ بن زيد الأسدي، فقد خرج على ذلك التقليد
القديم في هاشمياته التي قالها في مدح بني هاشم والدعوة لهم،
وكانت أول شعر قاله فسترها ثم جاء الفرزدق فقال له: يا أبا فراس،
إنك شيخ مضر وشاعرها، وأنا ابن أخيك الكميّ بن زيد
الأسدي، فقال له: صدقت أنت ابن أخي، فما حاجتك؟ قال له:
نُفِثَ على لساني فقلت شعرا أحببت أن أعرضه عليك، فإن كان
حسنا أمرتني بأذاغته، وإن كان قبيحا أمرتني بستره، وكنت
أول من ستره علي، فقال الفرزدق: أما عقلك لحسن، وإني لأرجو
أن يكون شعرك على قدر عقلك، فأنشده ما قلت؛ فأنشده:

طَرَبْتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ

قال: فيم تطرب يا ابن أخي؟ قال:

ولا أعبأ مني وذو الشوق يلعب

قال: بلى يا ابن أخي، قال:

ولم يُلْهِنِي دارٌ ولا رسم منزل
ولم يَتَطَرَّبَنِي بَنَانٌ مُخَضَّب
قال : وَيَحْكَ مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قال :

إِلَى النَّفَرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ
إِلَى اللَّهِ فِيمَا نَابِي أَتَقَرَّب
قال : أَرِحْنِي وَيَحْكَ مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قال :

بَنِي هَاشِمٍ رَهْطَ النَّبِيِّ فَاثْنَيْنِ
هُمْ وَلَهُمْ أَرْضِي مَرَارًا وَأَغْضَب
خَفَضْتُ لَهُمْ مَنَى جَنَاحِي مَوْدَةً

إِلَى كَسَفِ عَطْفَاهُ أَهْلٍ وَمَرْحَب
وَكُنْتُ لَهُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ

مَجْنَنًا عَلَى أُنَى أُذُنٍّ وَأَقْصَب
وَأَرْمَى وَأَرْمَى بِالْعِدَاوَةِ أَهْلَهَا

وَأُنَى لِأَذَى فِيهِمْ وَأَوْتَبَّ
فَقَالَ لَهُ الْفَرَزْدَقُ : يَا ابْنَ أَخِي أَذْعَ ثُمَّ أَذْعَ ، فَأَنْتَ وَاللَّهُ أَشْعَرُ
مِنْ مَضَى ، وَأَشْعَرُ مِنْ بَقِي ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ قَالَ : قَدْ طَرَبْتُ
إِلَى شَيْءٍ مَا طَرَبْتُ إِلَيْهِ أَحَدٌ قَبْلَكَ ، فَأَمَّا نَحْنُ فَمَا نَطْرِبُ وَلَا طَرِبَ
مَنْ كَانَ قَبْلَنَا إِلَّا إِلَى مَا تَرَكْتَ أَنْتَ الطَّرِبَ إِلَيْهِ ، فَهَذَا هُوَ التَّجْدِيدُ

الصحيح في مطلع القصيد ، وهو تجديد لم يسع الفرزدق وهو من
زعماء الأقدمين إلا أن يدعن له ، ويشهد ببراعة السكيت فيه ،
أما ذلك التجديد العاثر الذي أتى به أبو نؤاس فليس في الحقيقة
بتجديد ، وليس فيه إلا استبدال وصف الخمر بالنسيب في مطلع
القصيد ، وليس وصف الخمر إلا نسيبا فيها ، وكل منهما غرض مستقل
من أغراض الشعر ، فالتمهيد به لغيره من الأغراض الشعرية تصنع
غير مقبول ، وتكلف غير حسن

وقد سلم أبو العتاهية من هذا العبث في مطلع قصيده بعد أن أفلح
فيما سيأتي عن سنة شعراء عصره في الشعر ، وأخذ نفسه بالجد في
شعره ، وترك اللهو والعبث فيه ، فهو في هذا أيضا أحسن حالا من
بشار وأبي نؤاس

أثرهم في
أغراضه

وأما أغراض الشعر فإن أبا العتاهية هو حامل راية التجديد
فيها ، وصاحب القدح المعلن في تذليل ذلك الشعر العربي الجامح
للآداب الإسلامية العالية ، والأخلاق السكرية التي دعا الإسلام
إليها ، والمواظ على الحسنة النافعة ، وما إلى ذلك مما يدخل في تهذيب
الشعر بالثقافة الإسلامية ، وفرض سلطانها عليه بعد طول جماعه
عنها ، وتروايمه في أحضان الثقافة البدوية التي تأثر قبل الإسلام بها ،
وأنف مذاهبها وأساليبها ، وهو فتح كبير وفق إليه أبو العتاهية ،

وقد نجح فيه نجاحا كبيرا ، حتى ذاع به شعره في الشرق والغرب ،
وطار به صيته في سائر الأمم واللغات ، فأدى بهذا رسالة الشعر في
عصره أحسن تأدية ، وأعلى كلمته في الناس ورفع شأنه بينهم ، وجعله
فوق الملوك والعظماء بعد أن كان يتوسل به اليهم ، ولم يكن لبشار
ولا لأبي نواس في هذا مثل مالأي العتاهية ، اللهم إلا جولات قصيرة
تأتى في أثناء القصيد على عادة غيرها من الشعراء ، ومن هذا تلك
القصيدة التي قالها بشار في تأييد إبراهيم بن عبد الله بن حسن حينما
خرج على المنصور ، وهى قصيدة عظيمة نعى فيها على المنصور
استبداده في الرعية ، ونصح إبراهيم أن يقيم حكمه على أساس
الشورى ، وفيها يقول للمنصور .

أبا جعفر ما طول عيش بدائم
ولا سالم عما قليل بسالم
على الملك الجبار يَتَحَمُّ الرَّدَى
ويصرعه في المأزق المتلاحم
كأنك لم تسمع بقتل متوج
عظيم ولم تسمع بقتك الأعاجم
تَقَسَّم كَسْرَى رهطه بسيوفهم
وأمسى أبو العباس أحلام نائم

ومروانُ قد دارتْ على رأسه الرَّحَى
وكان لما أُجِرتْ نَزَرَ الجرائمُ
فأصبحتْ تجري سادراً في طريقهم
ولا تتقى أشباه تلك النقايمُ
تجردتْ الإسلامُ تعفو سبيله
وتعري مطاه لليُوث الضَّراغمُ
فأزلتْ حتى استنصر الدينُ أهله
فعاذوا عليك بالسيوف الصوارمُ

ثم التفت إلى إبراهيم فقال :
أقول لبسام عليه جلاله
غداً أُرِيحِيَّ عاشقاً للمكارمِ
إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن
برأى نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاة
فإن الخوافي قوة للقوادم
وما خير كف أمسك الغلُّ أختها
وما خير سيف لم يؤيدَ بقائم

وخلَّ الهَوَيْنَا للضعيف ولا تسكن

تَوْؤُمًا فَإِنَّ الْحَرَّ لَيْسَ بِنَائِمٍ

وقد صرف بشار وأبو نواس أشعارهما في العبث والمجون ،
فمتهكباها الأعراض ، وخرجا بها على آداب الدين الخفيف ، حتى ضج
أهل عصرهما منهما ، وذاع الفساد بين الناس بشعرهما

وأما أوزان الشعر وقوافيه فلم يكن لبشار وأبي نواس أثر يذكر
فيهما ، فلم يخرجا فيها جديدا ، ولم يخرجوا عن وزن من تلك الأوزان
التقليدية ، وأبو العتاهية هو الذي انفرد بالثورة على تلك التقاليد
في أوزان الشعر وقوافيه ، فاخترع في الشعر أوزانا جديدة لم يسبق
إليها ، ولم يجمد على تلك الأوزان التقليدية التي جمد غيره عليها ،
وقد سأله بعضهم هل تعرف العروض ؟ فقال له : أنا أكبر من
العروض ، وهذا جواب يدل على مقدار اعتداد هذا الشاعر العظيم
بنفسه ، وعلى أنه كان يذهب في الثورة على تقاليد الشعر القديمة إلى
حد لم يصل إليه بشار ولا أبو نواس ، ولا غيرها من شعراء عصره
ومن ذلك أيضا ما روى أنه اجتمع مع سلم الخامر فأشده
بعض أشعاره ، ثم قال له : كيف رأيتها ، قال سلم : لقد جودتها لولم
تكن ألفاظها سوقية ، فقال له أبو العتاهية : والله ما يرغبني فيها
إلا الذي زهدك فيها

أثرهم في
أوزانه وقوافيه

ومن أشعاره التي خرج فيها على العروض قوله :
همُّ القاضي بيتٌ يُطربُ قال القاضي لما عوّب
ما في الدنيا إلا مذنب هذا عذر القاضي وأقلب
وزنه فَعَلَنْ أَرَبْعَ مَرَّاتٍ ، وقد قال قوم إن العرب لم تقل على
وزن هذا شعرا ، ولا ذكره الخليل ولا غيره من العروضيين
فاذا وازنا بعد هذا كله بين أبي العتاهية وبشار وأبي نواس فيما
أحدثوه من التجديد في هذه النواحي الشعرية ، وجدناه يربى فيها
عليهما ، ووجدنا أنه كان موافقا فيما أحدثه من التجديد فيها كلهما ،
ووجدنا أن بشارا وأبا نواس لم يكن لهما تجديد يذكر إلا في الناحية
الأولى وحدها ، وخرجنا من هذا كله بأن أبا العتاهية أولى منهما
باسم الشاعر المجدد في ذلك العصر ؟

أبو العتاهية
أكبرهم أثرا

ترجمة أبي العتاهية

عصره

ولد أبو العتاهية في عصر كان المسلمون قد ثاروا ثورتهم التي
 أسقطوا فيها دولة بني مروان من بني أمية ، وأقاموا دولة بني العباس
 من بني هاشم قوم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانوا ينشدون في حكم
 بني العباس ما يعيد لهم عهد الخلفاء الراشدين ، حتى يكون أميرهم
 فيه كواحد من رعيته ، لا يؤثر نفسه بشيء من أمور الدنيا عليهم ،
 ولا يأخذ لنفسه من أموال الدولة إلا ما يفرضونه له منها ، كما فرضوا
 لأبي بكر رضي الله عنه وغيره من بعده ، فلم يحقق لهم بنو العباس
 هذا الرجاء ، بل ظهروا بأبهة الملك التي كان يظهر بها بنو مروان ،
 وآثروا أنفسهم بأموال الدولة ، وجعلوها ملكا مباحا لهم ينفقون منه
 في مصالح المسلمين ما تجود به أنفسهم ، وما يبقى بعد كل
 حاجاتهم وحاجات أهل بطانتهم وحاشيتهم ، وكذا أهل الملق من
 الشعراء والنسباء ومن إليهم ، ولم يحققوا للمسلمين من كل ما آملوه
 فيهم إلا المساواة بين شعوب المسلمين في أمور دولتهم ، وإلا نشر لواء
 الثقافة العالمية في حدودها الواسعة ، فوحدت بين هذه الشعوب في
 حكمها ، وجملت من ثقافتها العلمية المختلفة ثقافة واحدة تجمع بينها ،

واجتهدت في إحياء العلوم الدينية والعربية والفلسفية على اختلاف أنواعها، فأمكن بذلك تغذية النفوس من تلك العلوم بما يوافق مشاربها وأهواءها، ولا يضيق بتلك العناصر المختلفة التي اجتمعت فيها وقد انقسم المساهمون في شأن هذه الدولة بعد قليل من ظهورها، فتجافاها أهل الورع منهم، وأبوا أن يتولوا أعمالها، كما حصل من الإمام أبي حنيفة وغيره، وسار معها جمهور المسلمين في ذلك السبيل الذي سارت فيه، واستولى عليهم اليأس من ذلك المثل الأعلى في الحكم، وعود الدولة إلى مثل ما كانت عليه في عهد الخلفاء الراشدين، فلما أقبلت الدنيا عليهم في هذه الدولة انغمسوا فيها إلى أذقانهم، وتفننوا في التلذذ بها، ووصلوا في هذا السبيل إلى ما لم يصل إليه الناس في الدولة المروانية، وكادوا ينسون الآخرة كما نسيها من كان قبلهم، فكانوا في أشد حاجة إلى شاعر مصلح يوقظهم من تلك الغفلة المهلكة، ويؤدي في الشعر رسالته التي يجب أن يؤديها في كل عصر على الوجه الذي يناسبه، وقد كان لهم ذلك في شاعرنا أبي العتاهية

نشأته في
السكوفة

وكان ميلاده سنة ثلاثين ومائة من الهجرة، وهذا قبل قيام الدولة العباسية بسنة أو سنتين، وقد نشأ بالسكوفة وهي من مراكز العلم والأدب كالْبصرة وبغداد، وأبو العتاهية لقبه واسمه إسماعيل ابن القاسم بن سويد بن كيسان مولى عنزة، وكان خالد بن الوليد

قد سبى كيسان مع جماعة صبيان من أهل عين التمر، فوجه بهم إلى
 أبي بكر، وكانوا أربعين غلاما يتعلمون الانجيل، ففرقهم في أهل
 البلاد والأمصار، فاعتنقوا الاسلام واعتقهم مواليهم، فكان لهم أثر
 صالح في العلم والأدب، ونبع من أولادهم جماعة كانوا من أكابر
 رجال العلم والسياسة والحرب، مثل موسى بن نصير ومحمد بن
 سيرين ومحمد بن إسحاق صاحب السيرة، وكان كيسان جد أبي
 العتاهية من نصيب عباد بن رفاعة العنزي، لأنه سمعه حين سأله
 أبو بكر عن نسبه يذكر أنه من عنزة، وكان يكفله في عين التمر قرابة
 له منهم، فاستوهبه عباد من أبي بكر، ثم أعتقه بعد هذا، فتولى عنزة
 وكان بنوه يذكرون أنهم منها، ويكرهون من ينسبهم إلى النبط
 الذين كانوا يسكنون عين التمر، والظاهر أنهم من النبط، لأنهم كانوا
 يحترفون في السكوفة صنعة الجرار، وطبيعة العرب تأبى الاحتراف
 بمثل هذا

وقد نشأ أبو العتاهية بالسكوفة بين أهله يعمل الجرار معهم، ولم
 يذكر أحدا أنه اشتغل بالتعليم في صغره، ولكن الظاهر من أمره
 أنه اشتغل بقدر منه، وأن هذا القدر كان عوناً له في الحياة التي آل
 أمره أخيراً إليها، وكان بالسكوفة طائفة من خلعاء الشعراء وأهل
 المجون والمخنثين، مثل والبة بن الحباب الأسدي الشاعر، وهو

أستاذ أبي نواس في الخلاعة والمجون ، قاتل أبو العتاهية بذلك
الطائفة الخليفة في صغره ، وأطلق لنفسه عنانها معها ، وتخنت وحمل
زائلة المخشيين ، وأخذ عنهم شعرهم الخليع في التغزل والمجون وما
اليهما ، حتى نبغ في الشعر واشتهر به في الكوفة ، فكان الأحداث
والمثادبون يأتونه وهو جَرَّارٌ فينشدُّهم أشعاره ، فيأخذون ما تَكسر
من الخزف فيسكتونها فيه .

ولما بلغ مبلغ الرجال ونبه أمره في الكوفة أراد أن يقصد
بغداد ليمتصّل بأمرائها ؛ ويظهر فيها بما يتفق مع ما وصل إليه في
الشعر والأدب ، ويستفيد بشعره عند هؤلاء الأمراء ، وكان ثالث
ثلاثة فتيانٍ شباب أدباء قصد وهامعه ، ولم يكن لهم فيها من
يقصدونه ، فنزلوا غرفة بالقرب من الجسر ، وكانوا يبكرون فيجلسون
بالمسجد الذي بباب الجسر في كل غداة ، فمرت بهم يوما امرأة
راكبة معها خَدمٌ سُودَانٌ ، فقالوا من هذه ؟ قالوا خالصة ،
فقال أحدهم : قد عشقت خالصة ، وعمل فيها شعرا فأعانونه عليه ،
ثم مرت بهم أخرى راكبة معها خَدمٌ بِيضَانٌ ، فقالوا من هذه ؟
قالوا عتبة ، فقال أبو العتاهية : قد عشقت عتبة ، ولم يزلوا كذلك
إلى أن التأمّت لهم أشعار كثيرة فيهما ، فدفع صاحب خالصة بشعره
إليها ، ودفع أبو العتاهية بشعره إلى عتبة ، وألحّا في ذلك إلحاحا
شديدا ، فمرة يُقبلُ أشعارهما ، ومرة يُطردان ، إلى أن صح عزم الجاريتين

انتقاله إلى
بغداد واتصاله
بعتبة

على امتحان عاشقيها بمال على أن يدعَا التعرُّض لها، فان قبلا المال
كانا مُستأكلين، وإن لم يقبلناه كانا عاشقين، وكان لهما معهما شأن
في الخالين .

فلما كان الغد مرت خالصة فعرض لها صاحبها، فقال له الخدم:
اتبعنا، فتبعهم، ثم مرت عتبة فعرض لها أبو العتاهية، فقال له الخدم
اتبعنا، فتبعهم، فمضت به إلى منزل خليط لها برز، فلما جلست دعت
به فقالت له: يا هذا إنك شاب وأرى لك أدبا، وأنا حُرمةٌ خليفة،
وقد تأييتك، فان أنت كفت وإلا أنهيت ذلك إلى أمير المؤمنين،
ثم لم آمن عليك، فقال لها: فافعل بأبي أنت وأمي، فانك إن سفكت
دمي أرحمتي، فأسألك بالله إلا فعلت ذلك إذا لم يكن لي فيك نصيب،
فأما الحبس^(١) والحياة ولا أراك فأنت في حرج من ذاك؛ فقالت:
لا تفعل يا هذا، وأبق على نفسك، وخذ هذه الخمسمائة دينار واخرج
عن هذا البلد، فلما سمع ذكر المال ولي هاربا، فقالت ردوه وألحت
عليه فيها، فقال لها: جعلت فداك، ما أصنع بعرض من الدنيا وأنا
لا أراك، وأنت لتبطينين يوما واحدا عن الركوب فتضيّق بي الأرض
بما رُحبت، فزادت له في ذلك إلى ألف دينار، فيجاذبها مجاذبة

(١) يعني أن تحبس نفسها عنه ويريد أنه يفرط في حياته إن
فعلت ذلك .

شديدة ، وقال لها : لو أعطيتني جميع ما يحويه الخليفة ما كانت لي فيه حاجة وأنا لا أراك بعد أن أجد السبيل إلى رؤيتك ، ثم خرج فجاء الغرفة التي كانوا ينزلونها ، فإذا صاحبه مَوْرَمُ الأذنين ، وقد امتحن بمثل محنته ، فلما مدَّ يده إلى المال صفعوه ، وحلفت خالصة لئن رآته بعد ذلك لتؤدَّ عنه الحبس ، فاستشار أبا العتاهية في المقام ، فقال له : اخرج وإياك أن تقدر عليك

ثم التفتا فأخبرت كل واحدة صاحبتهما الخبر ، وأحدث عتبة أبا العتاهية ، وصح عندها أنه مُحِبُّ مُحَقِّقٌ ، فلما كان بعد أيام دعتة إليها وقالت له : بجيأتني عليك - إن كنت تعزُّها - إلا أخذت ما يعطيك الخادم فأصلحت به من شأنك ، فقد غمّني حالك ، فامتنع أبو العتاهية من ذلك ، فقالت له : ليس هذا مما تظن ، ولسكني لأحب أن أراك في هذا الزى ، فقال لها : لو أمكنني أن تريني في زى المهدي لفعلت ذلك ، ثم أقسمت عليه ، فأخذ الصرة فاذا فيها ثلثة دینار ، فاكتسى كسوة حسنة ، واشترى حماراً يركبه ، وحسن بها حاله

اتصاله بها
لغير الحب

وهذه الرواية يفيد ظاهرها أن أبا العتاهية كان صادقاً في حب عتبة التي شَبَّبَ بها في شعره ، وتَوَكَّأَ بها فيه إلى أن أقام عن ذلك فيما سيأتي من نسكه ، وقد يكون ما فعله مع عتبة حين أبي أن يأخذ

لئلا منها من البراعة في إخفاء غرضه الذي يقصده من الاتصال بها ،
وهذا هو الذي يراه في ذلك ابنه عتاهية ، فقد روى عنه أن أباه
إنما أقبل إلى بغداد ليمدح المهدي ، ويجهد في الوصول إليه ، فلما
طاولت أيامه أحبَّ أن يُشهر نفسه بأمر يصل به إليه ، فلما بصر
بعتبة راكبة في جمع من الخدم ، تتصرف في حوائج الخلافة ،
تعرض لها ، وأمل أن يكون تولَّاهُ بها هو السبب الموصل إلى
حاجته ، وانهمك في التشبيب والتعرض في كل مكان لها ،
والتفرّد بذكرها ، وإظهار شدة عشقها ، وكان أول شعر
قاله فيها :

رَاعَنِي يَا زَيْدُ صَوْتُ الْغَرَابِ
بِحَذَارِي لِلْبَيْنِ مِنْ أَحِبَابِي
يَا بِلَانِي وَيَا تَقْلُقُ أَحْشَا
نِي وَتَعْسِي لَطَائِرِ نَعَابِ
أَفْصَحَ الْبَيْنُ بِالنَّعِيبِ وَمَا أَفْ
صَحَ لِي فِي نَعِيبِهِ بِالْإِيَابِ
فَاسْتَهَلَّتْ مَدَامِي جَزَعًا مِنْ
هـ بَدَمَعِ يَنْهَكُ بِالنَّسْكَابِ

وَمُنِعْتُ الرُّقَادَ حَتَّى كَأَنِّي
أَرَمْتُ الْعَيْنَ أَوْ كُحِلْتُ بِضَابٍ
قُلْتُ لِلْقَلْبِ إِذَا طَوَى وَصَلَ سَعَةٍ
لَدَى لَهْوَاهِ الْبَعِيدِ بِالْأَنْسَابِ
أَنْتَ مِثْلَ الَّذِي يَفِرُّ مِنَ الْقَطْرِ

رَحِذَارَ النَّدَى إِلَى الْمِيزَابِ

والذي أرجحه في ذلك ما يراه ابنه عتاهية ، لأنه أدرى بخبيئة
أبيه ، ولأن عتبه لم تصدق في حبه حتى يصدق في حبها ، وإنما
كانت تتخذ للاعلان عنها بين منافساتها من جوارى المهدي ،
والحقيقة ان ابا العتاهية لم يكن إلا رجلا تاجر الایمه الحب ،
وهو لم يقصد بغداد إلا من أجل المال ، وقد جعل عتبه من
وسائله إليه ، وإن اجتهد في أن يظهر أمامها بمظهر الحب الذي
لا شك فيه

وكانت عتبه تقبل منه ذلك الظاهر الخادع ، ولا يخفى عليها
باطن أمره معها ، وكانت أحيانا تتبرم به إذا زاد عن الحد في
التشبيب بها ، وأحيانا تُشْفِقُ عليه وترثي له ، ومن ذلك أنه لما
كثر تشييبه بها شكت إلى مولاتها الخيزران زوج المهدي
ما يلحقها من الشناعة بذلك ، ودخل عليها المهدي وهي تبكي بين

يدى الخيزران ، فسألها عن خبرها فأخبرته ، فأمر باحضار
أبى العتاهية فأدخل إليه ، فلما وقف بين يديه قال : أنت القائل
فى عتبة :

اللهُ بِنَى وَبَيْنَ مَوْلَانِى

أَبَدْتُ لى الصَّدِّ وَالْمَلَالَاتِ

ومنى وصلتك حتى تشكو صَدَّهَا عَنْكَ ؟ قال : يا أمير المؤمنين ،
فأنا الذى أقول :

يَانَاقُ حَتَّى بَنَا وَلَا تَهْنِى

نَفْسُكَ فِيمَا تَرَيْنَ رَاحَاتِ

حَتَّى تَجِئْنِى بَنَا إِلَى مَلَاكِ

تَوَجَّاهُ اللهُ بِالْمَهَابَاتِ

يقول للريح كلما عصفتُ

هل لك ياريح فى مَبَارَاتِى

عليه تاجان فوق مَفْرِقِهِ

تاج جمال وتاج إِيْخَبَاتِ

قال فنكس رأسه ، ونسكت بالقضيب ، ثم رفع رأسه فقال :

أنت القائل :

ألا ما لسيدتي ما لها
أدلت بأجل إدلالها

وجارية من جوارى الملو
ك قد أسكن الحسن سر بالها
ثم سأله عن أشياء فأفحم ، فأمر بجلده نحوه من حد ، وأخرج
مجلودا ، فلقبته عتبة وهو على تلك الحال فقال :

بخ بخ يا عتب مثلكم

قد قتل المهدي فيكم قتيلًا

فَنَغَرَّ غَرَّتْ عَيْنَاهَا وَفَاضَ دَمْعُهَا ، وَصَادَفَتْ الْمَهْدِيَّ عِنْدَ
الْخِزْرَانِ ، فَقَالَ : مَا لَعْتَبَةُ تَبْكِي ؟ قَالُوا رَأَتْ أَبَا الْعَتَاهِيَةَ مَجْلُودًا ،
وَقَالَ لَهَا كَيْتَ وَكَيْتَ ، فَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَفَرَّقَهَا أَبُو
الْعَتَاهِيَةَ عَلَى مَنْ بِالْبَابِ ، فَكَتَبَ صَاحِبُ الْخَبَرِ بِذَلِكَ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ
الْمَهْدِيَّ : مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ أَكْرَمْتَكْ بِكَرَامَةٍ فَقَسَمْتَهَا ، فَقَالَ :
مَا كُنْتُ لَا كُلِّ ثَمَنٍ مِنْ أَحَبِّتْ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِخَمْسِينَ أَلْفًا أُخْرَى ،
وَحَلَفَ عَلَيْهِ أَلَّا يَفْرُقَهَا ، فَأَخَذَهَا وَانْصَرَفَ

ومما يؤيد أن عتبة كانت تعلم أنه لم يكن صادق الحب فيها ما روى

المُبرِّدُ أن أبا العتاهية أهدى إلى المهدي في يوم نوروزِ برنيّةٍ
صينيّةٍ فيها ثوبٌ ممسكٌ فيه سطران مكتوبان عليه بالغالية .
نفسى بشيء من الدنيا معلّقة

الله والقائم المهدي يكفيها
إني لأياسُ منها ثم يطمئني

فيها احتقارُك للدنيا وما فيها

فهم المهدي أن يدفع إليه عتبه ، فقالت له : يا أمير المؤمنين ،
مع حرمتي وخدمتي تدفني إلى بائع جرار يكتسب بالشعرا فبعت
إليه : أما عتبه فلا سبيل لك إليها ، وقد أمرنا لك بملء البرنيّة
مالا ، فخرجت عتبه وهو يناظر الكتاب ويقول : إنما أمرلى بدنانير ،
وهم يقولون بدراهم ، فقالت له : أما لو كنت عاشقا لعتبه لما اشتغلت
بتمييز العين من الورق

فلم تكن إذن قصة هذا الحب بين أبي العتاهية وعتبه إلا نوعا
من اللهو والعبث ، وإن وقوفه هو وصاحبه في الطريق حتى إذا
مرت عليهما خالصة وعتبه قال صاحبه قد عشقت خالصة ، وقال
هو قد عشقت عتبه ، ليدل على أنه كان حبا بالقول فقط ، وعلى
أنهما لم يكونا يريدان إلا أن يتخذاه وسيلة للظهور والمران على الشعر ،

فلم يكن حبا صادقا يملك عليهما حياتيهما وشعريهما ، كما ملك
الحب الصادق ذلك على الشعراء العشاق قبلهما ، ولم يلبث
صاحبه إلا قليلا حتى انكشف أمره ، أما هو فقد أجاد ما تظاهر به
من حب عتبة ، وتمكن بِظُرْفِهِ من أن يكسب منها بعضا من العطف
عليه ، دون ان يصل ذلك إلى حبيبها له

وقد كان له مع عتبة نواذر لطيفة تدل على كمال ظُرْفِهِ ، وعلى
بعض من
نواذره معها
أنه كان موهوبا بحظ كبير من حسن الحيلة ، وأنه كان يمتضى في
العَبَثِ معها إلى الحد الذي تحتمله خِفَّةُ الشباب ، ويحمله عليه
حب اللهو ، ومن ذلك ما ذكره الخطيب في تاريخ بغداد قال : إن
أبا العتاهية لما أَلَحَّ في أمر عتبة لأول دخوله بغداد ولم ينل منها
شيئا ، وجدها يوما قد جلست في أصحاب الجوهر ، فمضى فلبس ثياب
راهب ، ودفع ثيابه إلى إنسان كان معه ، وسأل عن رجل كبير من
السوق ، فدلَّ على شيخ صائح فجاء إليه فقال : إني قد رغبت في
الاسلام على يَدَيِ هذه المرأة ، فقام وجمع جماعة من أهل السوق
وجاء فقال : إن الله قد ساق اليك أجراً ، هذا هو راهب قد رغبت
في الاسلام على يدك ، فقالت هاتوه ، فدنا منها فقال : أشهد أن لا
إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وقطع الزنار ودنا فقبل يدها

فلما فعل ذلك رفعت البرُّسَ فعرفته فقالت: نحوّه لعنه الله، فقالوا لها: لاتعلمينه فقد أسلم، فقالت: إنما فعلت ذلك لقدَرَه، فعرضوا عليه كسوةً فقال: ليس لي حاجة إلى هذه، وإنما أردت أن أشرف بولائِها، فالحمد لله الذي منَّ عليَّ بمُضوركُم، وجاس فجعلوا يعلمونه الحمد، وصلّى معهم العصر، وهو في ذاك بين يديها ينظر إليها، لاتقدر له على حيلة

وحدث المُبرِّد أن رَيْطَةَ بنت أبي العباس السَّفَّاح وجَّهَتْ إلى عبد الله بن مالك الخُزَاعِيَّ في شراء رقيقٍ للعتق، وأمرت جاريتها حُتْبَةَ - وكانت لها ثم صحبت الخيزرانَ بعدها - أن تحضُرَ ذلك، فانها جلّاسة إذ جاء أبو العتاهية في زِيٍّ مُتَنَسِّكٍ فقال: جعلني الله فداك، شيخ ضعيف لا يقوى على الخدمة، فان رأيت - أعزك الله - شرائي وعتقي ففعلت مأجورة، فأقبلت على عبد الله فقالت: إني لأرى هيئة جميلة، وضعفا ظاهرا، ولسانا فصيحاً، ورجلا بليغاً، فاشتره وأعتقه، فقال نعم، فقال أبو العتاهية: أتأذنين لي - أصلحك الله - في تقييل يدك، فأذنت له، فقبّل يدها وانصرف، فضحك عبد الله بن مالك وقال: أتدريين من هذا؟ قالت لا، قال هذا أبو العتاهية، وإنما احتال عليك حتى قبّل يدك

أشعاره فيها

ومن مختار شعره في عتبة قوله :

بالله يا حُلُوَّةَ العَيْنين زوريني

قبل المات وإلا فاستزيريني

هذان أمران فاخترى أحبَّما

إليك أولا فداعى الموت يدعوني

إن شئت موتاً فأنت الدهر مالكة

روحي وإن شئت أن أحيأ فأحييني

يا عتبَ مانت إلا بدعة خلقت

من غير طين وخلق الناس من طين

إني لأعجب من حبِّ يُقربني

ممن يباعدني عنه ويُقصيني

لو كان ينصفني مما كلفتُ به

إذن رضيت وكان النصف يرضيني

يا أهل ودِّي إني قد لطفْتُ بكم

في الحب جهدي ولكن لا تبالوني

الحمد لله قد كننا نظنكم

من أرحم الناس طرّاً بالمساكين

أما الكثير فلا أرجوه منك ولو
أطمعني في قليل كان يكفيني
وقوله :

ألا يا عُتْبَ يا قمر الرصافه
ويا ذات الملاحة والنظافه
رُزِقْتَ مودتي ورزقت عطفی
ولم أرزق فديتك منك رافه
وصرتُ من الهوى دنفًا سقيمًا
صريعًا كالصرع من السلافه
أظُلُّ إذا رأيتك مستكينا
كأنك قد بعثت على آفه

ولا يخفى أن قوله (كأنك قد بعثت على آفه) مما لا يليق من
عاشق لمن يحب ، ولكننا قد ذكرنا أن أبا العتاهية لم يكن صادقًا
في حبه ، وإنما يتخذ وسيلة لغرضه من الظهور والاتصال
بالعباسيين ، فكان إذا رأى منها إعراضا ، بدا منه مثل ذلك
التذمر ، وأظهر بعض ما يخفيه في نفسه من التعامل
ومن شعره فيها أيضا قوله :

قال لي أحمدٌ ولم يدْرِ ما بي
أُتِيبُ الغداة عُتْبَةَ حَقًّا
فَتَنَفَّسْتُ ثُمَّ قُلْتُ نَعَمْ حَبَّ—

لَا جَرَى فِي الْعُرُوقِ عِرْقًا فَعِرْقًا
لَوْ تَجَسَّيْنِ يَا عُتْبِيَّةُ قَلْبِي
لَوَجَدْتَ الْفُؤَادَ قَرَحًا تَقَعًا
قَدْ لَعَمَرِي مَلَّ الطَّبِيبُ وَمَلَّ أَلَا
أَهْلُ مَنْى مِمَّا أَقَاسَى وَأَلْقَى
لَيْتَنِي مِتُّ فَاسْتَرَحْتُ فَانِي
أَبْدًا مَا حَيَّيْتُ مِنْهُ مَلَقَى

وفي ذلك أيضا ما يدل على أنه كان يتكلف ذلك الحب ،
كقوله في البيت الأول (أُتِيبُ الغداة عُتْبَةَ) فكأنه لا يحبها
قبلها ، اللهم إلا أن يكون قيذا لأمعنى له ، وكذلك قوله في البيت
الأخير (لَيْتَنِي مِتُّ فَاسْتَرَحْتُ) لأن صاحب الحب الصادق لا يتمنى
مثل هذا ، ولا يظهر مثل هذا السأم والملل
وقال فيها أيضا :

عُتْبَ مَا لِإِخْيَالِ خَبَّرِيْنِي وَمَالِي
لَا أَرَاهُ أَتَانِي زَائِرًا مُذْ لِيَالِي

لو رآني صديق رَقَّ لي أورثني لي
أو يراني عدوِّي لان من سوء حالي

اتصاله بالمهدي وكان اتصال أبي العتاهية بعتبة أول وسيلة اتخذها للاتصال بالمهدي ؛ ولكنها كانت وسيلة عابثة لا توصله إلى المنزلة التي يطلبها عنده ، فأراد أن يتخذ إليه مع ذلك وسيلة أخرى تسلك به سبيل الجِدِّ ، وتوصله إلى مطلوبه عند المهدي ، فاتصل بخاله يزيد بن منصور ، وكان من أكرم الناس ، وأحفظهم لِحُرْمَةٍ ، وأرعاهم لعهد ، وكان باراً بأبي العتاهية ، كثيراً فضله عليه ، وكان أبو العتاهية منه في منعة ، وحصن حصين ، مع كثرة ما يدفعه إليه ويمنعه منه من المسكاره ، ومن أجله كان يتعصب أبو العتاهية لِلْيَمَانِيَةِ أخوال المهدي ، ويمدحهم فيما يمدحه به من شعره ، بعد أن مكنته يزيد بن منصور من الاتصال به ، ومن ذلك قوله

سقيت الغيث يا قصر السلام فنعيم محلة الملك الهمام
لقد نشر الاله عليك نوراً وحقق بالملائكة الكرام
سأشكر نعمة المهدي حتى تدور على دائرة الحمام
له بيتان بيت تبغي بيت حل بالبلد الحرام
وقد اتصلت مدائح أبي العتاهية بالمهدي ، فقر به منه ، وعظم

ارتفاعه في دولته

مقامه في دولته ، ونال من جوائزه ما لم ينله غيره من الشعراء ، وكان
الأمر يصل بينهما أحيانا إلى التَّبَسُّط في أوقات اللهو ، فتسقط
بينهما السكفة ، ويُنسى الفارق الكبير بينهما ، ومن ذلك أن
المهدي خرج يوما إلى الصيد ومعه أبو العتاهية وبعض حاشيته ،
فوقعوا منه على شيء كثير ، وتفرقوا في طلبه ، وأخذ المهدي في طريق
غير طريقهم ، وكان معه أبو العتاهية ، فعرض لهما واد فسيح ،
وتغيّمت السماء وبدأت تمطر ، فتحيرا في أمرهما ، وأشرفا على الوادي
فاذا فيه ملاح يعبر الناس ، فلجأ إليه وسألاه عن الطريق ، فجعل
يضعف رأيهما ، ويعجزهما في بذلهما أنفسهما في ذلك النعيم للصيد ،
ثم أدخلهما كوخا له ، وكاد المهدي يعوت بردا ، فقال الملاح له :
أعطيك بجبتي هذه الصوف ؟ قال نعم ، فغطاه بها قماشك قليلا ونام
فافتقده غلامانه ، وتبعوا أثره حتى أتوا إليه ، فلما رأى الملاح كثرتهم
علم أنه الخليفة فهرب ، وتبادر الغلمان فنحوا الجبة عنه ، وألقوا
عليه الخزّ والوشى ، فلما انتبه قال لأبي العتاهية . ويحك ما فعل
الملاح ؟ فقد والله وجب حقه علينا ، فقال : هرب والله خوفا من
قبح ما خاطبنا به ، فقال : إنا لله ، والله لقد أردت أن أغنيه ، وبأى
شيء خاطبنا ؟ نحن والله مستحقون لأقبح مما خاطبنا به ، بحياتي

عليك إلا ما هجوتنى، فقال: يا أمير المؤمنين، كيف تطيب نفسى بأن
أهجوك؟ فقال: والله لتفعلن، فأنى ضعيف الرأى مغرم بالصيد، فقال:
يا لابس الوشى على ثوبه ما أقبح الأشيب فى الراح
فقال له زدنى بحياتى، فقال:

لوشئت أيضاً جلئت فى خامه وفى وشاحين وأوضح
فقال له: ويحك هذا معنى سوء يرويه عنك الناس، وأنا أستأهل،
زدنى شيئاً آخر، فقال: أخاف أن تغضب، فقال لا والله، فقال:

كم من عظيم القدر فى نفسه قد نام فى جبة ملاح
والحق أن اتصال أبى العتاهية بالمهدى لم يسكن اتصال الشاعر
المستجدى الخانع، بل كان اتصال الشاعر الذى يعرف لنفسه قدرها،
فاذا رأى شيئاً من ممدوحه لا يرضى عنه، نسى فى ذلك ما له وجوائزها،
ولم يذهب فيه على ما يرضى هواه، بل يؤثر فى ذلك أن يرضى
نفسه وضميره، وإن كان يسلك فيه سبيل التلطف، ويأتى به على
قدر ما تسمح به ظروف عصره فى مخاطبة الملوك، وتهدة نائرتهم
عند غضبهم.

موقف عظيم
له معه

ومما يدل على هذا أن أبا عبد الله وزير المهدى دخل عليه وكان
قد وجد عليه فى أمر باخه عنه، وأبو العتاهية حاضر مجلسه، فجعل

المهدى ، يشتم أبا عبيد الله ويتفريط عليه ، ثم أمر به فحُجِرَ رجله
وحبس ، ثم أطرق المهدي طويلاً ، فلما سكن أنشده أبو العتاهية :
أرى الدنيا لمن هـى فى يديه عذاباً كلاً كبرت عليه
تهين المسكرين لها بصغر وتكرم كل من هانت عليه
إذا استغثت عن شئ فدعه وخذ ما أنت محتاج إليه

فتبسم المهدي وقال لأبي العتاهية: أحسنت ، فقام أبو العتاهية
ثم قال: والله يا أمير المؤمنين ما رأيت أحداً أشد إكراماً للدنيا ، ولا
أصونَ لها ، ولا أشح عليها ؛ من هذا الذى جرَّ رجله الساعة ،
ولقد دخلت إلى أمير المؤمنين ، ودخل هو وهو أعز الناس ، فما
برحت حتى رأيتـه أذل الناس ، ولورضى من الدنيا بما يكفيه
لاستوت أحواله ولم تتفاوت ، فتبسم المهدي ودعا بأبي عبيد الله
فرضى عنه ، فسكان أبو عبيد الله يشكر ذلك لأبي العتاهية .

فاذا قيل لنا كيف وصل هذا القى بائع الجرار بالسكوفة ،
وصاحب عتبة جارية الخيزران ، إلى هذه المنزلة من علو النفس ،
وصار بحيث يسمو على وزير المهدي ذلك السمو ، وكيف يتقلب
هذا الشاعر المالحن ذلك الانقلاب الذى ينافى ماضيه كل المنافاة ،
قلنا إنا لا نريد أن نتعجل درس هذا الشاعر العظيم ، ولا بلـ

أن ننتظر هذا الارهاص حتى يصل إلى غايته ، لنمضي في درسه .

مرحلة مرحلة

مدائحہ فیہ ومن مدائحہ فی المہدی تلك القصيدة التي مدحه بها أمام

بَشَارٍ وَأَشْجَعِ السُّلَمِيِّ وَغَيْرَهَا مِنَ الشُّعْرَاءِ ، وَقَدْ أَذِنَ لَهُمُ الْمَهْدِيُّ
فَجَلَسُوا وَسَكَتَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ ، فَسَمِعَ بَشَارٌ حَسًّا ، فَقَالَ لِأَشْجَعِ
مِنْ هَذَا ؟ فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ ، فَقَالَ لَاجِزِي اللَّهُ مِنْ جَمْعِنَا مَعَهُ ، ثُمَّ

أَمَرَهُ الْمَهْدِيُّ فَأَنشَدَ :

الْأَمَّا لِسَيِّدَتِي مَكَالَهَا أَدَلًّا فَاحْلُ إِذْ لَأَلَّهَا

وَالْإِلَاقِيمُ تَجَنَّتْ وَمَا جَنَيْتُ سَقَى اللَّهِ أَطْلَالَهَا

الْأَلَا إِنْ جَارِيَةً لِلْإِمَامِ قَدْ أَسْكَنَ الْحُسْنَ سُرْبَالَهَا

مَشَتْ بَيْنَ حُورٍ قِصَارِ الْخَطُيْ

تُجَادِبُ فِي الْمَشْيِ أَكْفَالَهَا

وَقَدْ أَتَعَبَ اللَّهُ نَفْسِي بِهَا وَأَتَعَبَ بِاللَّوْمِ عَدْلَهَا

فَقَالَ بَشَارٌ لِأَشْجَعِ : وَيَحْكُ يَا أَخَا سُلَيْمٍ رَأَيْتَ أَحَرَ مِنْ هَذَا ؟

يُنْشَدُ مِثْلَ هَذَا الشَّعْرِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ! حَتَّى بَلَغَ قَوْلُهُ :

أَتَيْتُهُ الْخِلَافَةَ مُنْقَادَةً إِلَيْهِ تَجَرَّرَ أَذْيَالُهَا

وَلَمْ تَكْ تَصْلَحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكْ يَصْلَحْ إِلَّا لَهَا

وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرَهُ لَزُلْزِلَتْ الْأَرْضُ زَلْزَالُهَا

ولو لم تَطْعُهُ بَنَاتُ الْقُلُوبِ لَمَّا قَبِلَ اللَّهُ أَعْمَالَهَا
فَقَالَ بَشَارُ: أَنْظِرْ وَيْحَكَ يَا شَجْع ، هَلْ طَارَ الْخَافِيفَةُ مِنْ فَرَاشِهِ
طَرَبًا لَمَّا يَأْتِي بِهِ هَذَا السَّكُوفِي ؟

وَقَدْ بَدَأَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ بِالنَّسِيبِ عَلَى عَادَةِ الشُّعْرَاءِ ، مَلَامَةً لِنَسِيبِهِ
قَبْلَهُ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ تَرَكَ النَّسِيبَ فِي شِعْرِهِ ، وَلَسْكَنَهُ
لَا يَنْسَبُ فِيهَا بِلَهْلَى وَلَا يَهْنَدُ كَمَا يَنْسَبُ غَيْرُهُ ، وَإِنَّمَا يَنْسَبُ بِالْجَوَارِي
الْبِعْدَادِيَّاتِ الْحَسَنَاتِ ، لِيَكُونَ شِعْرُهُ صَوْرَةً صَادِقَةً لِلْعَصْرِ الَّذِي يَعِيشُ
فِيهِ ، وَلَا يَجْمَعُ عَلَى تِلْكَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي كَانَتْ لَا تَزَالُ تَرَدَّدُ فِي عَصْرِهِ
وَإِذَا كَانَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَبْدَأُ فِي الْمَدْحِ بِالنَّسِيبِ
كَغَيْرِهِ ، فَقَدْ كَانَ لَا يُعْنَى بِتَطْوِيلِهِ كَمَا يُعْنَوْنَ ، بَلْ يُلِمُّ بِهِ الْإِمَامُ ، ثُمَّ
يَدْخُلُ فِي مَقْصِدِهِ ، قَالَ صَاحِبُ الْأَغَانِي : حَدَّثَنَا الْغَلَاظِيُّ ، قَالَ حَدَّثَنَا
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الضَّمَّةِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْعَلَاءِ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ حَرْثٍ صَاحِبَ
الْمُهْدِيِّ كَانَ مُدَحِّحًا ، فَمَدَحَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَأَمَرَهُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ،
فَأَنَسَكَ ذَلِكَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ ، وَقَالَ : كَيْفَ فَعَلَ هَذَا هَذَا السَّكُوفِي ؟
وَأَيُّ شَيْءٍ مَقْدَارُ شِعْرِهِ ؟ فَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَأَحْضَرَ الرَّجُلَ وَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ إِنْ
الْوَاحِدُ مِنْكُمْ لِيَدُورُ عَلَى الْمَعْنَى فَلَا يَصِيبُهُ ، وَيَتَعَاطَاهُ فَلَا يَحْسِنُهُ ،
حَتَّى يُشْتَبَّ بِخَمْسِينَ بَيْتًا ؛ ثُمَّ يَدْحُنَا بِبَعْضِهَا ؛ وَهَذَا كَأَنَّ الْمَعْنَى
تَجْمَعُ لَهُ ، مَدْحِي فَقَصُرَ التَّشْبِيبُ وَقَالَ :

إِنِّي أَمِنْتُ مِنَ الزَّمَانِ وَرَبِّيهِ لَمَّا عَلَقْتُ مِنَ الْأَمِيرِ حَبَالًا
لَوْ يَسْتَطِيعُ النَّاسُ مِنْ إِجْلَالِهِ لَحَدَّوْا لَهُ حُرَّ الْوَجْهِ نِعَالًا
إِنَّ الْمَطَايَا تَشْتَكِيكَ لِأَنَّهَا قَطَعْتُ إِلَيْكَ سَبَاسِيًا وَرَمَالًا
فَإِذَا وَرَدَنَ بِنَا وَرَدَنَ خَفَانًا وَإِذَا صَدَرَنَ بِنَا صَدَرَنَ ثِقَالًا

غضب الهادي
عليه

وكان أبو العتاهية في عهد المهدي يلازم ابنه هارون ، وكان
ابنه وولي عهده موسى الهادي يَحِدُّ على أبي العتاهية للملازمة أخاه
دونه ، فلما وَلِيَ بعد أبيه المهدي أراد أن يَقْصِيَ أبا العتاهية عن
هارون فلم يطمعه ، ثم أمره أن يخرج معه إلى الرِّىِّ فَأَبَى ذلك ،
ولسكنه لم يلبث أن خافه وتهيب أن يبطش به ، وكانت الملوك في
عهده لا تحمِل مثل هذا الإباء من رعيتهم ، ولا تطيق منها مثل
هذا الاعتداد بالنفس ، ولا ترى لها أن تحافظ على عهدها مع من
ترضى عنه ، فقال أبو العتاهية يستعطفه :

أَلَا شَافِعٌ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ يَشْفَعُ فَيُدْفَعُ عَنَّا شَرٌّ مَا يَتَوَقَّعُ
وَإِنِّي عَلَى عُظَمِ الرِّجَاءِ خَائِفٌ كَأَنِّي عَلَى رَأْسِ الْأَسِنَّةِ تُشْرَعُ
يُرَوِّعُنِي مُوسَى عَلَى غَيْرِ عَثْرَةٍ وَمَالِي أَرَى مُوسَى مِنَ الْعَفْوِ أَوْسَعُ
وَمَا آمِنُ يَمْسَى وَيَصْبَحُ عَائِدًا بَعْفُو أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يُرَوِّعُ
وَهُوَ فِي هَذَا الْاسْتِعْطَافِ لَا يَنْزِلُ إِلَى حَدِّ الذَّلَّةِ وَالْخُنُوعِ ،

وامتهان كرامة النفس وعزتها ، ولا يقول في ذلك ما قاله النابغة
الدَّبِيَّانِيُّ قَبْلَهُ لِلشَّعْمَانِ بْنِ الْمَنْذَرِ :

فَإِنْ أَكُ مَظْلُومًا فَعَيْدُهُ ظَلَمَتُهُ

وَإِنْ تَلَكَ ذَا عَتَبِيٍّ فَمَثَلُكَ يُعْتَبُ

بل يخاطب الهادي باسمه ، ولا يرى له حقا في ترويعه من غير
ذنب جناه ، وينصف نفسه في هذا الموقف الذي تجد فيه النفوس ،
وإن كان يفعل هذا في لين ورفق ، ويجمع بينه وبين الاستعطاف
وطالب العفو

وقد روى صاحب الأغاني أنه ولد للهادي ولد في أول يوم
وَلِيَ فِيهِ الْمَلِكُ فَدَخَلَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ عَلَيْهِ فَأَنَشَدَهُ :

أَكْثَرَ مُوسَى غَيْظَ حُسَّادِهِ وَزَيْنَ الْأَرْضِ بِأَوْلَادِهِ

وَجَاءَ مِنْ صُلَيْبِهِ سَيِّدٌ أَصِيدُ فِي تَقْطِيعِ أَجْدَادِهِ

فَاكْتَسَتْ الْأَرْضُ بِهِ بَهْجَةً وَاسْتَبَشَرَ الْمَلِكُ بِمِيعَادِهِ

وَابْتَهَمَ الْمَتْبِرَ عَنْ فَرْحَةٍ عَلَتْ بِهَا ذِرْوَةُ أَعْوَادِهِ

كَأَنَّنِي بَعْدَ قَلِيلٍ بِهِ بَيْنَ مَوَالِيهِ وَقَوَادِهِ

فِي مَحْفَلٍ تَخْفِقُ رَايَاتُهُ قَدْ طَبَّقَ الْأَرْضَ بِأَجْنَادِهِ

فأصره الهادي بألف دينار ، وطيب كثير ، وكان ساخطا عليه

فرضى عنه ، وهذه الرواية لا تنافى ما قدمنا من سقطه عليه في أول ولايته ، لأن الهادى حينما أتى إليه أبو العتاهية بهنئة بذلك ظن أنه سينقطع عن أخيه هارون فرضى عنه ، ووصله بتلك الدنانير ، فلما رآه لم ينقطع عن أخيه عاد فسخط عليه ، ولعل هذه الرواية غير صحيحة ، لأنه لا يعقل أن يُعنى أبو العتاهية بهنئة الهادى بذلك المولود في أول يوم يلكي فيه الملك ، ولا يُعنى بهنئته بذلك الملك العظيم الذى صار إليه ، والذى نرجحه أن تهنئته بذلك المولود لم تكن في ذلك اليوم

مدائح فيه

وقد رضى الهادى عن أبي العتاهية بعد استعطافه له ، فاقبل به أبو العتاهية كما اتصل بأبيه من قبله ، ومدحه بكثير من شعره ، وناله كثير من صلاته وجوائزه ، ومما قاله في مدحه على مذهب أبي نوّاس في بدء المديح بذكر الخمر ووصف مجالسها :

لَهْفَى عَلَى الزَّمَنِ الْقَصِيرِ	بَيْنَ الْخَوَرِ تَقِ وَالسَّيْرِ
إِذْ نَحْنُ فِي غُرْفِ الْجُنَا	نَ نَعُومُ فِي بَحْرِ السَّرُورِ
فِي فِتْيَةٍ مَلَكُوا عِنَا	نَ الدَّهْرَ أَمْثَالَ الصَّقُورِ
مَا مِنْهُمْ إِلَّا الْجَسُورُ	رُ عَلَى الْهَوَى غَيْرَ الْخُصُورِ
يَتَعَاوَرُونَ مَدَامَةً	صُهَبَاءَ مِنْ حَلَبِ الْعَصِيرِ
عِذْرَاءَ رَبَّاهَا شَعَا	عُ الشَّمْسُ فِي حَرِّ الْهَجِيرِ

لم تَدْنُ من نارٍ ولم
 ومُفَرَّقٍ يَمْشِي أَمَا
 بِزُجَاجَةٍ تَسْتَخْرِجُ السَّ
 زَهْرَاءَ مِثْلَ الْكَوْكَبِ الدَّ
 تَلْعَقُ الْكَرِيمَ وَلَيْسَ يَدُ
 مُحْصَرَاتٍ زُرْنَنَا
 رِيًّا رَوَّادِفَهُنَّ يَدُ
 غُرِّ الْوُجُوهِ مُحْجَبًا
 مُتَنَعِمَاتٍ فِي النَّعِي
 يَرْفُلْنَ فِي حُلُلٍ الْحَا
 مَا إِنْ يَرَيْنَ الشَّمْسَ إِلَّا
 وَإِلَى أَمِينِ اللَّهِ مَهْ
 وَإِلَيْهِ أَتَعَيْنَا الْمَطَا
 صَعَرَ الْخُدُودِ كَأَنَّمَا
 مُتَسَرِّبَاتٍ بِالظُّلَا
 حَتَّى وَصَلْنَ بِنَا إِلَى
 مَا زَالَ قَبْلَ فُطَامِهِ

يعلِّقُ بِهَا وَضْرُ الْقُدُورِ
 مَ الْقَوْمِ كَالرَّشَاءِ الْغَرِيرِ
 رَ الدَّفِينِ مِنَ الضَّمِيرِ
 رَى فِي كَفِّ الْمُدِيرِ
 رَى مَا قَبِيلٌ مِنْ دَيْرِ
 بَعْدَ الْهُدُوءِ مِنَ الْخُدُورِ
 بَسَنَ الْخَوَاتِمِ فِي الْخُصُورِ
 تِ قَاصِرَاتِ الطَّرْفِ حُورِ
 مِ مُضْمَخَاتٍ بِالْعَبِيرِ
 سَنَ وَالْمَجَاسِدِ وَالْحَرِيرِ
 الْقُرْطَ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ
 رَبُّنَا مِنَ الدَّهْرِ الْعُثُورِ
 يَا بِالرَّوَّاحِ وَبِالْبُكُورِ
 جُنْحَنَ أَجْنَحَةِ النُّسُورِ
 مَ عَلَى السُّهُولَةِ وَالْوُغُورِ
 رَبُّ الْمَدَائِنِ وَالْقُصُورِ
 فِي سَنٍ مُكْتَهِلٍ كَبِيرِ

ولم يزل أبو العتاهية مستقيم الحال مع الهادي حتى انتهى
عهده ، ولا يكاد يفترق حاله معه عن حاله مع أبيه المهدي

نسكه في عهد الرشيد
فلما جاء عهد هارون الرشيد بعد أخيه الهادي كان المظنون
أن يكون حال أبي العتاهية معه أكثر استقامة من حاله مع أبيه
وأخيه ، لما سبق من ملازمته له في عهد أبيه المهدي ، وانقطاعه
إليه انقطاعا كان يحسده عليه أخوه الهادي ؛ ولكن حال أبي العتاهية
لم تجيء في عهد الرشيد على ما كان يُقدَّر لها ، وبظن أنها تكون
عليه ، إذ أخذ أبو العتاهية يزهد في دنيا هؤلاء الملوك ، وينقطع إلى
الشعر في الزهد ، وكان الرشيد يغضب عليه بسبب ذلك ، ولا يرضى عنه
إلا بعد أن يعود إلى ما كان عليه مع الملوك قبله ، وقد وردت في ذلك
روايات كثيرة نذكرها أولا ، ثم نذكر بعد ذلك رأينا فيها .

اختلاف روايته
روى صاحب الأغاني أنه لما مات الهادي قال الرشيد
لأبي العتاهية : قل شعراً في الغزل ، فقال : لا أقول شعراً بعد موسى
أبداً ، فحبسه ، وأمر إبراهيم الموصلي أن يغني ، فقال لا أغني بعد موسى
أبداً — وكان محسناً إليهما — فحبسه ، فلما شخض إلى الرقة حفر
لها حفيرة واسعة وقطع بينهما بحائط ، وقال كونا بهذا المكان لا
تخرجا منه حتى تشعر أنت ، ويغني هذا ، فصبرا على ذلك مدة حتى

قال أبو العتاهية لإبراهيم : إلى كم يا هذا نلاج الخلفاء ؟ هلم أقل شعرا
وتغنى فيه ، فقال أبو العتاهية :

بأبي من كان في قلبي له مرة حب قليل فسرق
يا بني العباس فيكم ملك شعب الاحسان منه تقترق
إما هارون خير كله مات كل الشر مذيوم خلق

وغنى فيه إبراهيم ؛ فدعا بهما الرشيد ، فأنشده أبو العتاهية ،
وغناه إبراهيم ، فأعطى كل واحد منهما مائة ألف درهم ،
ومائة ثوب .

وفي هذه الرواية يبدأ أبو العتاهية مدحه بالنسيب ،
ولكنه نسيب متكافئ يتفق مع تكلف أبي العتاهية لذلك
الشعر ، واضطراره إليه لينجو به من السجن ؛ وقد اعترف
أبو العتاهية بما أثبتناه في قصة حبه بأدلتنا السابقة ، فذكر أنه لم
يكن منه إلا حب قليل ثم سرق منه ، وهذا الحب القليل هو
الحب الذي كان يتظاهر به لعتبة ؛ ويبدى فيه من ضروب الوجد ما
يحيل للناس أنه عاشق صادق الحب

وروى عن محمد بن أبي العتاهية قال : كان أبي لا يفارق
الرشيد في سفر ولا حضر إلا في طريق الحج ، وكان يُجْرَى عليه

في كل سنة خمسين ألف درهم ، فلما قدم الرشيد الرقة ليس أبي
الصوف وتزهد ، وترك حضور المندامة ، والقول في الغزل ،
وأمر الرشيد بحجسه ، فلم يزل يكتب اليه الشعر يستعطفه ، حتى
كتب اليه :

وَكَلَّفَتْنِي مَا حِلْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَقُلْتُ سَأَبْغِي مَا تَرِيدُ مَا تَهْوَى
فَلَوْ كَانَ لِي قَلْبَانُ كَلَّفْتُ وَاحِدًا هَوَاكَ وَكَلَّفْتُ الْخَلَى بِمَا يَهْوَى
وروى عن محمد بن أبي العتاهية أيضا قال : ليس أبو العتاهية
كساء صوف ودُرَاعَةً ، وآلى على نفسه ألا يقول شعرا في الغزل ،
وأمر الرشيد بحجسه والتضييق عليه ، فقال :

يَا ابْنَ عَمِّ النَّبِيِّ سَمِعًا وَطَاعَةً قَدْ خَلَعْنَا الْكِسَاءَ وَالْدُرَاعَةَ
وَرَجَعْنَا إِلَى الصَّنَاعَةِ لَمَّا كَانَ سَخَطَ الْأَمَامِ تَرَكْنَا الصَّنَاعَةَ

فلم يزل الرشيد متوانيا في إخراجه إلى أن قال :

أَمَّا وَاللَّهِ إِنْ الظُّلُمُ لَوُمٌ وَمَا زَالَ الْمُسَىءُ هُوَ الظُّلُومُ
إِلَى دِيَّانٍ يَوْمَ الدِّينِ نَمَضَى وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ
لَأَمْرِ مَّا تَصَرَّعْتَ إِلَيَّ إِلَى وَأَمْرٍ مَّا تَوَلَّيْتَ النُّجُومُ
تَمُوتُ غَدًا وَأَنْتَ قَرِيرُ عَيْنٍ مِنَ الْغَفَلَاتِ فِي لَجَجِ تَعُومُ
تَنَامُ وَلَمْ تَتَمَّ عَنْكَ الْمَنَايَا تَلَبَّهِ لِلْمَنِيَّةِ يَا نَوُومُ
سَلِ الْأَيَّامَ عَنْ أُمَمٍ تَقَضَّتْ سَتَجْهَرُكَ الْمَعَالِمُ وَالرُّسُومُ

تروم الخلد في دار المنايا وكم قد رام غيرك ماتروم
 ألا يا أيها الملك المرجى عليه نواهِض الدنيا تحوم
 أفلنى عثرة لم أجزمها إلى لوم وما مثلى ملوم
 وخلصني تخلص يوم بعث إذا للناس برزت الجحيم
 وروى بخارق أن أبا العتاهية جاءه فقال : قد عزمت على
 أن أتزوّد منك يوماً تهبه لي ، فمتى تنشط ؟ فقلت متى شئت ؛
 فقال يكون ذلك في غد ؛ فجئته فأدخلني بيتاً له نظيفاً ؛ ودعا بطعام
 وفاكهة فأكلنا ، ودعا بألوان من الأنبذة ، فقال اختر ما يصلح لك
 منها ؛ فاخترت وشربت ، ثم صبّ قدحا وقال : غنني في قولي :
 أحمدُ قال لي ولم يدّر ما بي أحبُّ الغداة عتبة حقا
 فغنّيته فشرب قدحا وهو يبكي آخر بكاء ، ثم قال : غنني
 فديتكم في قولي :

ليس لمن ليست له حيلة موجودة خير من الصبر
 فغنّيته وهو يبكي وينشج ، ثم شرب قدحا آخر ، ثم قال :
 غنني فديتكم في قولي :

خليلى مالي لا تزال مضرّتي تكون مع الأقدار حتماً من النّهم
 فغنّيته إياه ، وما زال يقترح على كل صوت غنى به في
 شعره ، فأغنيه ويشرب ويبكى ، حتى صارت العتمة ، فقال :

أحب أن تصبر حتى ترى ما أصنع ، فجلست فأمر ابنه وغلامه
فكسرا كل ما بين أيدينا من التديذ وآلته والملاهي ، ثم نزع ثيابه
واغتسل ، ثم لبس ثيابا بيضاء من صوف ، ثم عانقني وبكى ، ثم
قال : السلام عليك يا حميدى وفرحى من الناس كلهم ، سلام الفراق
الذى لا لقاء بعده ، وجعل يبكى ، فانصرفت وما لقيته زمانا (١)
وحدث أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، قال : كان
أبو العتاهية قد أكثر مسألة الرشيد فى عتبة فوعده بتزويجها ، وأنه
يسألها فى ذلك ، فان أجابت جهزها وأعطاه مالا عظيما ، ثم إن
الرشيد سَخَّ له شغلًا استمر به ، فحجب أبو العتاهية عن الوصول
إليه ، فدفع الى مسرور السكير ثلاث مَراوح ، فدخل بها على
الرشيد وهو يبتسم ، وكانت مجتمعة ، فقرأ على واحدة منهن مكتوبا :

ولقد تنسمت الرياح لحاجتى

فاذا لها من راحتيه شميم

فقال أحسن الخبيث ، وإذا على الثانية :

أعلقت نفسى من رجائك ماله

عنقٌ يحثُ إليك بى ورسم

(١) اختلاق هذه الرواية ظاهر جدا ، لأن مثل هذا الفسوق

لا يفعله شخص يعزم على مثل ما عزم عليه أبو العتاهية

فقال قد أجاد ، وإذا على الثالثة:

ولربما استأسيت ثم أقول لا

إن الذي ضمن النجاح كريم

فقال : قاتله الله ! ما أحسن ما قال ! ثم دعا به وقال :

قد ضمننت لك يا أبا العتاهية ، وفي غد نقضى حاجتك إن شاء الله ،
وبعث إلى عتبة إن لي إليك حاجة فانتظريني الليلة في منزلك ،
فأكبرت ذلك وأعظمته ، وصارت إليه تستعفيه ، خلف ألا يذكر
لها حاجته إلا في منزلها ، فلما كان الليل سار إليها ومعه جماعة من
خواص خدمه ، فقال لها : لست أذكر حاجتي أو تضمين قضاءها ،
قالت : أنا أمتك وأمرك نافذ في ما خلا أمر أبي العتاهية ، فاني
حافت لأبيك رضى الله عنه بكل يمين يحلف بها بر وفاجر ، وبالمشى
إلى بيت الله الحرام حافية ، كلما انقضت عنى حجة وجبت على أخرى ،
لا أقصر على الكفارة ، وكلما أفدت شيئا تصدقت به إلا ما أصلى
فيه ، وبكت بين يديه ، فرق لها ورحمها ، وانصرف عنها ، وغدا
عليه أبو العتاهية فقال له الرشيد : والله ما قصرت في أمرك ، ومسروور
وحسين ورشيد وغيرهم شهود لي بذلك ، وشرح له الخبر ، قال
أبو العتاهية : فلما أخبرني بذلك مكثت مليا لا أدري أين أنا قائم

أوقاعد ؟ وقلت : الآن يُست منها إذ ردتك ، وعلمت أنها
لا تجيب أحداً بعدك ، فلبس أبو العتاهية الصوف ^(١) وقال
في ذلك من أبيات :

قَطَعْتُ مِنْكَ حَبَائِلَ الْأَمَالِ

وحططت عن ظهر الطي رحا

ووجدت بَرْدَ الْيَأْسِ بَيْنَ جَوَانِحِي

فَغَنَيْتُ عَنْ حِلٍّ وَعَنْ تَرْحَالٍ

وروى أبو سلمة الغنوي أنه قال لأبي العتاهية : ما الذي

صرفك عن قول الغزل إلى قول الزهد ؟ فقال : إذن والله أخبرك ،
إني لما قلت :

اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَوْلَاتِي أَبَدْتُ لِي الصَّدَّ وَالْمَالَاتِ

مَنْحَتَهَا مَهْجَتِي وَخَالَصَتِي فَكَانَ هِجْرَانَهَا مَكْفَاتِي

هَيَمَنِي حُبُّهَا وَصِيرَنِي أَحَدُوتهُ فِي جَمِيعِ جَارَاتِي

رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ كَأَن آتِيَا أَتَانِي فَقَالَ : مَا أَصْبَتْ

أَحَدًا تَدْخُلُهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَتَبَةٍ يَحْكُمُ لَكَ عَلَيْهَا بِالْمَعْصِيَةِ إِلَّا

(١) هذه الرواية ظاهرة الاختلاق أيضاً ، لأن أبا العتاهية لم يصل

حبه لعتبة إلى هذه الدرجة التي بالغت فيها هذه الرواية

الله تعالى ! فالتبته مذعورا ، وتبت إلى الله تعالى من ساعتي
من قول الغزل

فهذه الروايات في سبب زهد أبي العتاهية متداخلة متضاربة ،
وفي بعضها من الاختلاق ما قصد به تشويه زهد أبي العتاهية ،
وإبطال أثر أشعاره الزهدية في نفوس الناس ؛ لئلا يشوروا على
تلك الحياة الناعمة التي أسرف فيها ملوكهم وعظمائهم ، وهي
أيضا لا تبين لنا كيف وصلت تلك النزعة الصوفية إلى نفس
أبي العتاهية ، مع أنه كان في ظاهره من أبعاد الناس عنها ، ولا تقيد
إلا أنها حالة طرأت عليه في بغداد ، ولا تتصل إلى سابق أمره بصلة ،
لأنها لم تكن بالكشف عن نفس أبي العتاهية ، وعن صلتها بتلك النزعة
الصوفية التي صارت إليها ؛ وهذا هو الأمر الذي يجب أن يعنى
به فيه ، ولا يكفي ما في الرواية الأخيرة من إرجاع ذلك إلى تلك
الرؤية المنامية ، لأنها إذا صحت لا تكون نتيجة لها إلا أن يقلع عما
كان فيه ، فلا تكفي وحدها في الأخذ به إلى كل ذلك الغلو في أمره ،
وإلى تلك الحياة الجديدة التي تنافي كل المناقاة حياته الطويلة قبلها
في لهو ومجونه

وكذلك لا تبين لنا تلك الروايات كيف يأخذ الرشيد على
أبي العتاهية ترك القول في الغزل ، وينكر عليه حياة الزهد بعد

حياة اللهو والمجون ، ويزج به من أجل ذلك في السجن ، ويذيقه عليه مر العذاب ، وهو الذي كان يأخذ على أبي نواس اندفاعه في اللهو ، وأخذه في الشعر بقول الغزل ، فكيف يتفق هذا مع ذلك المسلك الذي سلكه مع أبي العتاهية ؟

إرجاعه إلى
شأته

والحقيقة أن تلك النزعة الصوفية كانت قديمة عند أبي العتاهية ، وأن أمرها يرجع إلى مبدأ أمره بالكوفة ، وأنه كان يخفى ذلك في نفسه ، ليظهر به في الوقت المناسب له ، فيؤثر به في الناس جميعا ، لا في نفسه وحده ، ودليلنا على ذلك هذه الرواية التي تعيد أن القول في الزهد كان أول ما أخذ به في شعره

روى محمد بن عبد الجبار الفزاري أن أبا العتاهية اجتاز في أول أمره وعلى ظهره قفص فيه فخار يدور به في الكوفة ويبيع منه ، فمر بفتيان جلوس يتذاكرون الشعر ويتناشدونه ، فسلم ووضع القفص عن ظهره ، ثم قال : يا فتيان ، أراكم تذاكرون الشعر ، فأقول شيئا منه فتجيزونه ؟ فإن فعلتم فلكم عشرة دراهم . وإن لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم ، فهزئوا به وسخروا منه ، وقالوا نعم ، قال : لا بد أن يشتري بأحد القمرين رطب يؤكل ، فانه قمر حاصل ، وجعل رهنه تحت يد أحدهم ، ففعلوا ، فقال أجزوا :

ساكني الأجداث أنتم

وجعل بينه وبينهم وقتاً في ذلك الموضع إذا بلغت الشمس ،
ولما لم يجيزوا البيت غرموا الخطر ، وجعل يهزأ بهم ونمّمه :
ساكني الأحداث أنتم مثلنا بالأمس كنتم
ليت شعري ما صنعتُم أَرَبَحْتُم أم خسرتُم
وهي قصيدة طويلة في شعره (١)

ولاشك أن هذه نزعة ظاهرة في الزهد والتصوف ، وقد ظهرت
فيه كما تفيد هذه الرواية من أول أمره في الشعر ، فإذا كان قد سار
بعد ذلك في غير سبيلها فإن هذا يرجع إلى أنه رأى أن يتصل بشعراء
عصره في الكوفة وغيرها ، ليظهر أمره بينهم في الشعر ، فأخفى من
أجل هذا تلك النزعة في نفسه ، وأخذ يسلك في اللهو والشعر مسلك
أولئك الشعراء ، حتى ظهر أمره بينهم ، ووصل إلى ما يريد من
العظمة والشهرة ، ورأى أنه إذا ظهر بعد هذا بما يخفيه من تلك
النزعة كان له أثره في الناس عموماً ، وفي ملوك بني العباس خصوصاً ،
فأخذت نفسه تنازعها ميلها إلى الزهد ، وإلى اعتزال هؤلاء الملوك
الذين لم يكن مخلصاً في الاتصال بهم ، وإيماً كان يريد أن يظهر
أولاً على حسابهم ، ثم يأخذ في سبيل تعكر عليهم صفو حياتهم
الناعمة ، وتطلم الرعية على إسرافهم فيها ، وعلى ما هم فيه من غفلة

(١) بحثنا عنها في ديوانه فلم نجدها

عن الآخرة ، وانصرف عن مناهج الخلفاء الراشدين ، والملوك
الصالحين ، ولم يكن يريد من كل هذا إلا أن يصل الى أغراض
سياسية له ، سنبينها بعد هذا فى موضعها ، وقد عرف بنو العباس
غرضه من ذلك فحاربوه فيه وخسوه من أجله ، لامن أجل تلك
النزعة الصوفية التى كان ينزع اليها كثير من رجال عصره ، ولم
يختص بها وحده

محاولته له فى عهد المهدي
وقد أراد أبو العتاهية أن يظهر بتلك النزعة فى عهد المهدي ،
ولكنه كان أشد بطشا من الرشيد ، فلقى من بطشه ما جعله يقام
عنها ، ولا يعود اليها فى عهده وعهد ابنه الهادي ، روى ابن خلكان
أن أبا العتاهية ترك قول الشعر فى عهد المهدي ، فأمر بحبسه فى سجن
الجرائم ، فلما دخله دهش ورأى منظرا هاله ، فطلب موصيا يأوى
فيه ، فإذا هو بكهل حسن البزة والوجه ، عليه سيما الخير ، فقصده
وجلس من غير سلام عليه ، لما هو فيه من الجزع والخيرة والفكر ،
فكث كذلك مليا ، وإذا الرجل ينشد :

تعوّدتُ مسَّ العُتْرِ حتّى ألفتُهُ

وأسلمنى حُسنُ العزاء الى الصبر

وصيرنى يأسى من الناس واثقا

بحسن صنيع الله من حيث لا أدري

قاستحسن أبو العتاهية البيتين ، وثاب إليه عقله ، فقال له : تفضَّل
أعزَّكَ اللهُ عليَّ باعادتهما ، فقال : يا إسماعيل ، وَليَحْكَ ما أسوأ
أدبكَ ، وأقلَّ عقلك ومروءتك ، دخلت فلم تسلم عليَّ تسليم المسلم
على المسلم ، ولا سألتني مسألة الوارد على المقيم ! فقال له : اعذري
متفضلاً ، فذُنْ ما أنا فيه يَدْهَشُ ، قال : وفيم أنت ؟ تركت الشعر
الذي هو جاهك عندهم ، وسببت إليهم ، ولا بد أن تقوله فتُطْلَقُ ،
وأنا يدعى الساعة بي ، فأُطْلَبَ بعيسى بن زيد ابن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فإن دَلَّتُ عليه لقيت الله تعالى بدمه ، وإلا قتلت ،
فأنا أولى بالخيرة منك ، ثم دعى بهما ، فطوب الرجل بأن يدل على
عيسى بن زيد فأبى ، فأمر المهدي بضرب عنقه ، ثم قال لأبي العتاهية :
أَتَقُولُ الشعر أو أُلْحِقُكَ به ؟ قال بل أقول ، فأمر به فأطلق

فأرجأ أبو العتاهية ظهوره بتلك النزعة إلى عصر الرشيد ،
لأنه كان أقل بطشاً من أبيه وأخيه ، فكان يحبس أبا العتاهية
ثم يعفو عنه ، ولم يهدده بالقتل كما هدد به أبوه المهدي

ولا غرابة في أن يهتم هؤلاء الملوك بأمر أبي العتاهية وأشعاره
في الزهد ، لأنهم خافوا منها على سلطانهم ، وخشوا ثورة النفوس على
ترف ملوكهم . وقد كانوا يشاهدون افتتاح الناس بشعره ، بعد أن
قرب إليهم الفاظه ومعانيه ، وفتح لهم من أبوابه ما أغلقه الشعراء

سر إنكار
العباسيين له

السابقون ، فكان شعره يلجج به الصايد في خلوته ، والراهب في صومعته ، والملاح في سفينته ، والفلاح في حقله ، والعامل في مكان عمله ، حتى صار أبو العتاهية شاعر الشعب في ذلك العصر ، وحامل لواء الشعر الموافق لرغبة الرعية ، الملائم لأدب الاسلام الصحيح ، وأنا نسوق هنا ما يدل على مقدار تعلق الناس بشعر أبي العتاهية ، وافتتانهم به افتتانا لم يبلغه شاعر قبله

قال يحيى بن سعيد الأنصاري : مات شيخ لنا ببغداد ، فلما دفناه أقبل الناس يعزونه ، فجاء أبو العتاهية إليه وبه جزع شديد ، فعزاه ثم أشده :

لَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ وَالْبَسَ لِكُلِّ حَالٍ لِبَاسًا
لَيَدْفِنَنَّ أَنْاسُ كَمَا دَفِنَّا أَنْاسًا

فانصرف الناس وما حفظوا غير قول أبي العتاهية

وقال محمد بن صالح العكوي أخبرني أبو العتاهية قال : كان الرشيد مما يعجبه غناء الملاحين في الزَّلَّالَاتِ إِذَا رَكِبَهَا ، وكان يتأذى بفساد كلامهم ولحنهم ، فقال قولوا لمن معنا من الشعراء يعملوا لهؤلاء شعراً يغنون فيه ؛ فقبل له ليس أحد أقدر على هذا من أبي العتاهية ، وهو في الحبس ، قال فوجه إلى الرشيد : قل شعراً حتى

أسمعه منهم ، ولم يأمر باطلاقي ، ففاظطى ذلك ، فقلت : والله لأقولن
شعراً يُخزّنه ولا يسره ، فعملت شعراً ودفعته إلى من حفظه من
الملاحين ، فلما ركب الحرّاقة سمعه ، وهو :

خَانِكِ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ	أَيُّهَا الْقَلْبُ الْجُرَيْجُ
لِدَوَاعِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ	رَدُّ دُنُوٍّ وَزُجُوحِ
هَلْ لِمَطْلُوبٍ بِذَنْبٍ	تَوْبَةٌ مِنْهُ بَصُوحِ
كَيْفَ إِصْلَاحُ قُلُوبِ	إِنَّمَا هُنَّ قُرُوحِ
أَحْسَنَ اللَّهُ بِنَا أ	نَ الْخَطَايَا لَا تَقُوحِ
فَإِذَا الْمُسْتَوْرُ مِنَّا	بَيْنَ ثَوْبِيهِ قُضُوحِ
كَمْ رَأَيْنَا مِنْ عَزِيزٍ	طَوَيْتَ عَنْهُ الْكَشُوحِ
صَاحٍ مِنْهُ بِرَحِيلٍ	صَائِحُ الدَّهْرِ الصَّدُوحِ
مُوتَ بَعْضُ النَّاسِ فِي الْأَر	ضِ عَلَى قَوْمِ فُتُوحِ
سَيَصِيرُ الْمَرْءُ يَوْمًا	جَسَدًا مَا فِيهِ رُوحِ
بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ حَيٍّ	عَلِمُ الْمَوْتِ يُلُوحِ
كُلُّنَا فِي غَفْلَةٍ وَالْأ	مَوْتُ يَخْذُو وَيَرْجُوحِ
لِبَنِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْ	يَا غَبُوقُ وَصَبُوحِ
رَحْنٍ فِي الْوُشْيِ وَأَصْبَحَ	نَ عَلَيْهِنَ الْمَسُوحِ

كُلُّ نَطَاحٍ مِنَ اللَّهِ رِ لَهُ يَوْمٌ نَطْلُوحُ
نُحْ عَلَى نَفْسِكَ يَا مَسْ كَيْنُ إِنْ كُنْتَ تَنُوحُ
لَقَمُونَنَ وَإِنْ عُمَ رَتَ مَا عُمِرَ نُوحُ

فلما سمع الرشيد ذلك جعل يبكي ويلتجب ، وكان الرشيد من
أعز الناس دموغاً وقت الموعظة ، وأشدهم عسفاً في وقت الغضب
والغلظة ، فلما رأى الفضل بن الربيع كثرة بكائه أوماً إلى الملاحين
أن يسكتوا

ومما يدل على أن أبا العتاهية كان يحمل نفسه من أسباب
الهم ما ليس من سببها في الزهد لأغراض له في ذلك — ما رواه
صاحب الأغاني قال : حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار ، قال حدثني
ابن أبي الدنيا ، قال حدثني الحسين بن عبد ربه ، قال حدثني
علي بن عبيدة الريحاني ، قال حدثني أبو الشمقمق أنه رأى
أبا العتاهية يحمل زائلة المُخَنَّثِينَ ، فقلت له : أمثلك يضع نفسه
هذا الموضع مع سنك وشعرك وقدرك ؟ فقال له : أريد أن أتعلم
كَيْادَهُمْ ، وأتخفظ كلامهم

وقد كان أبو العتاهية يأتي بما يأمره به الرشيد في ذلك ليمتقي
به حبسه وسجنه ، وكان في هذا يأخذ بالتيقن التي يأخذ بها الشيعة ،

تردده أيام
الرشيد

وهو على ماسيأتي من رجالهم ، فجري في ذلك مع الرشيد كما جرى فيه مع الهادي والمهدي ؛ وكان إذا خرج من سجنه وجري على ما يهواه الرشيد منه ؛ مضى كأن لم يكن هناك شيء يخفيه منه في دخيلة نفسه ، ومدحه بشعره أحسن مدح ، وأخذ عليه منه جزيل صلاحته وجوائزه ، حتى إذا غلبته نفسه نبأ عنه ، وأخذ في زهده ونسكه ، وأخذ الرشيد في الغضب عليه وسجنه وتعذيبه ، وأبو العتاهية راجع في الحالين ، قاض لنفسه غرضهما من مال العباسيين ، ولذهبه السياسي الذي سببته غرضه من ذم دنياهم ، والتعني على ما في دولتهم من فساد ديني وسياسي واجتماعي

وقد أخبر ابن أبي العتاهية أن الرشيد لما أطلق أباه من الحبس مدحه فيه
لزم بيته وقطع الناس ، فذكره الرشيد فعرف خبره ، فقال : قولوا له
صرت زير نساء ، وحلست بيت ، فكتب إليه أبو العتاهية :

برمت بالناس وأخلاقهم فصرت أستأنس بالوحدة
ما أكثر الناس لعمري وما أقلهم في منتهى العدة

ثم قال : لا ينبغي أن يعمى شعر إلى أمير المؤمنين ليس فيه
مدح له ، فقرن هذين البيتين بأربعة أبيات مدحه فيها ، وهي :
عاد لي من ذكره نصب فدموع العين تنسكب

وكذاك الحُبُّ صاحِبُهُ يعْتَرِيهِ اَلْهَمُّ والوصَبُ
 خَيْرٌ مِنْ يَرْجَى وَمَنْ يَهَبُ مَلِكٌ دَانَتْ لَهُ الْعَرَبُ
 وَحَقِيقٌ اَنْ يَدَانَ لَهُ مِنْ اَبُوهِ لِلْنَبِيِّ اَبُ
 ولما عقد الرشيد ولاية العهد لبنييه الثلاثة : الأمين والمأمون
 والمؤمن ، قال أبو العتاهية :

رَحَلْتُ عَنْ الرَّبْعِ الْمُحْمِلِ قَعُودِي
 إِلَى ذِي زُخُوفٍ جَمَّةٍ وَجَنُودِ
 وَرَاعٍ يَرَاعِي اللَّيْلَ فِي حِفْظِ أُمَّةٍ
 يَدَافِعُ عَنْهَا الشَّرَّ غَيْرَ رَقُودِ
 بِالْوَلِيَّةِ جَبْرِيلَ يَقْدُمُ أَهْلَهَا
 وَرَايَاتِ نَصْرٍ حَوْلَهُ وَبُنُودِ
 تَجَافَى عَنِ الدُّنْيَا وَأَيُّقِنُ أَنَّهَا
 مَفَارِقَةٌ لَيْسَتْ بِدَارِ خُلُودِ
 وَشَدَّ عُرَى الْإِسْلَامِ مِنْهُ بِفَتِيَّةٍ
 ثَلَاثَةَ أَمْلاكَ وَلاَةَ عَهْدِ
 ثُمَّ خَيْرُ أَوْلَادِهِمْ خَيْرُ وَالِدِ
 لَهُمْ خَيْرُ آبَاءٍ مَضَتْ وَجْهَهُ

بنو المصطفى هارون حول سريره
فَخَيْرُ قِيَامِ حَوْلِهِ وَقَعُودِ

تَقَلَّبُ الْحَاظُ الْمَهَابَةُ يَنْهَمُ
عِيُونَ ظِيَاءٍ فِي قُلُوبِ أَسْوَدِ

خُدُودُهُمْ شَمْسٌ أَنْتَ فِي أَهْلَةٍ
تَبَدَّتْ لِرَأْيِ فِي نَجُومِ سَعُودِ

فوصله الرشيد بصلته ما وصل مثلاً شاعراً قط

ثم انقضى عهد الرشيد وجاء بعده عهد الأمين ، وحصل ما
حصل من الخلاف بينه وبين أخيه المأمون ، فاضطرب أمر الدولة ،
ووجد أبو العتاهية من ذلك ما يساعده على المضي في سبيله من
الزهد ، واستخدم شعره في دعوة الأمة إليه ، وتهوين أمر الدنيا التي
فتنوا بها عن الآخرة ، ولم يعد يقول الشعر في التغرل والمجون وما
إليهما ، ولكنه لم يقطع صلته بملوك العباسيين ، ولم يتخرج من
مدحهم الحين بعد الحين طمعا في أموالهم ، وأخذ صلاتهم وجوائزهم ،
وسنتسكاهم بعد في أمر ذلك الزهد ، واجتماعه مع ذلك الطمع في
أموال العباسيين

حدث عكرمة عن شيخ له من أهل الكوفة قال : دخلت

مسجد المدينة ببغداد بعد أن بويغ الأمين محمد بسنة ، فاذا شيخ
عليه جماعة ، وهو ينشد :

لَهْفَى عَلَى وَرَقِ الشَّبَابِ وَغَصُونَهُ الْخُضْرُ الرُّطَابِ
ذَهَبَ الشَّبَابُ وَبَانَ عِنْدَ بِيْ غَيْرِ مُنْتَظَرِ الْآيَابِ
فَلَا بُكَيْنَ عَلَى الشَّبَابِ بَ وَطِيبِ أَيَّامِ التَّصَابِ
وَلَا بُكَيْنَ مِنَ الْبِلَالِ وَلَا بُكَيْنَ مِنَ الْخِضَابِ
إِنِّي لَأَمْلُ أَنْ أَخْلَدَ دَا وَالْمَنِيَّةُ فِي طِلَابِ

قال : فجعل ينشدها وإن دموعه لتسيل على خديه ، فلما رأيت
ذلك لم أصبر أن ملت فكتبتها ، وسألت عن الشيخ فقيل لي :
هو أبو العتاهية

وحدث جبيب بن الجهم التميمي قال : حضرت الفضل بن
الربيع منجزاً جائزتي وفرضي ، فلم يدخل عليه أحد قبلي ، فاذا عون
حاجبه قد جاء فقال : هذا أبو العتاهية يسلم عليك ، وقد قدم من
مكة ، فقال : أعفني منه الساعة يشغلي عن ركوبي ، فخرج إليه
عون فقال : إنه على الركوب إلى أمير المؤمنين فأخرج من كمة
فملا عليها شرآك مكتوب عليه :

نعلٌ بعثتُ بها ليلبسها قرمٌ بها يمشي إلى المجد

لو كان يصلح أن أُشْرَكَ بها
خَدَيَّ جعلتُ شِرَاكِهَا خَدَيَّ

ثم قال لعون : قل له إن أبا العتاهية أهداها إليك ، فدخل بها
عليه ، فقال له : احملها معنا ، فلما دخل على الأمين أخبره بها ، وأنه
رأى أن أمير المؤمنين أولى بلبسها ، لما وُصفَ به لابسها ، فقرأ الأمين
البيتين ، فقال : أجاد والله ، وما سبقه إلى هذا المعنى أحد ، هبوا له
عشرة آلاف درهم ، فأخرجت والله في بدرةٍ وهو راكب على حماره ،
فقبضها وانصرف

وَلَمَّا تَوَلَّى الْمَأْمُونُ بَعْدَ أَخِيهِ الْأَمِينِ حَسَنَ حَالِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ فِي
عَهْدِهِ ، وَكَانَ الْمَأْمُونُ أَحْسَنَ حَالًا مِنَ الْمُلُوكِ الْعَبَّاسِيِّينَ قَبْلَهُ ، فَقَرَّبَ
أَبَا الْعَتَاهِيَةِ مِنْهُ ، وَأَكْثَرَ مِنْ رِزْقِهِ وَصَلَاتِهِ وَالْإِحْسَانَ إِلَيْهِ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ
مِثْلَهُ مَعَهُ سَلَفُهُ ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ أبا الْعَتَاهِيَةِ كَانَ يَحْجُجُ كُلَّ سَنَةٍ ، فَإِذَا
قَدِمَ أَهْدَى إِلَى الْمَأْمُونِ بُرْدًا وَمِطْرَفًا وَنَمْلًا سَوْدَاءَ وَمَسَاوِيكَ
أَرَاكَ ، فَيَبْعَثُ إِلَيْهِ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دَرَاهِمَ

وَدَخَلَ عَلَى الْمَأْمُونِ مَرَّةً فَأَنشَدَهُ :

مَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالَهَا

إِذَا أَطَاعَ اللَّهُ مِنْ نَالِهَا

من لم يؤاسِ الناس من فضلها
عَرَضَ الأُدْبَارَ إقبالها

فقال له المأمون : ما أجود البيت الأول ، فأما الثاني فما صنعت
فيه شيئاً ، الدنيا تدبر عَمَنَ واسى منها أَوْضَنَ بها ، وإنما توجب
السماحة بها الأجر ، والضنُّ الوزر ، فقال : صدقت يا أمير المؤمنين ،
أهل الفضل أولى بالفضل ، وأهل النقص أولى بالنقص ، فأمر المأمون
بأن يدفع إليه عشرة آلاف درهم ، لاعترافه بالحق
فلما كان بعد أيام عاد فأنشده :

كم غافل أودى به الموت
لم يأخذ الأُهبَةَ للْفُوتِ
من لم تزلْ نعمته قبله

زال من النعمة بالموت

فقال له : أحسنت ، الآن طيبت المعنى ، وأمر له بعشرين ألف درهم .

وهذا كله يدل على مقدار ما كان من الاتصال الزوحي
بين المأمون وأبي العتاهية ، فإذا رأينا المأمون يزهد بمد هذا في ذلك
الملك العظيم الذي ورثه عن سلفه من العباسيين ، ويؤثر به من بعده
الامام عليّاً الرضى عن آل علي بن أبي طالب رضى الله عنه ،
فيزوجه بنته أم حبيب ، ويجعله وليَّ عهده ، ويضرب اسمه على

أثر زهدياته
في ملكه

الدينار والدرهم — فان لشعر أبي العتاهية أعظم الأثر في ذلك كله ،
وهذه هي الغاية التي جاهد من أجلها بشعره في ترهيد الناس في
هذه الدنيا ، وفيما فيها من ملك وغيره ، فقد سعى في ترهيد الناس
في كل أسباب الدنيا ، ونعى عليهم ما هم فيه من التكاليف عليها ،
ليزهد العباسيين في التكالب على ذلك الملك الذي استأثروا به ،
ويعودوا به إلى سيرته الأولى ، فيتولاه أصلح الناس له ، ولا يستأثر
به أحد على غيره ، وهذا هو ما فعله المأمون مع الامام علي الرضا ،
فقد كان المأمون بمدينة مرو ومعه فيها هذا الامام ، فاستحضر
أولاد العباس الرجال منهم والنساء ، واستدعى الامام علياً فأنزله
أحسن منزله ، وجمع خَوَاصَّ الأولياء ، وأخبرهم أنه نظر في أولاد
العباس وعلى بن أبي طالب رضى الله عنهم ، فلم يجد في وقته أحداً
أفضل ولا أحق بالأمر من علي الرضا ، فباعه وأمر بإزالة السواد من
اللباس والأعلام ، وقد قام بسبب هذا تلك الفتنة المعروفة بين
المأمون وعمه إبراهيم بن المهدي ، فقصت على تلك الفكرة الصالحة ،
ومضى العباسيون في أمرهم إلى أن ملكهم خَوَلُهُمْ وجنودهم من
الترك وغيرهم ، وانتهى أمرهم بتلك النكبة التي انتهت بها ،
ولا يعلم إلا الله ماذا كان يعود من الخير على المسلمين لو تم للمأمون
ما أراد من ذلك العمل الصالح ، ورجع أمر المسلمين إلى ما كانوا

عليه من الشورى في عهد النبوة والخلافة
وقد بلغت سن أبي العتاهية في عهد المأمون تسعين سنة ،
وأدركه أجله في تلك السن سنة ٢٠٩ هـ وقيل سنه ٢١١ هـ
وروى محمد بن أبي العتاهية قال : آخر شعر قاله أبي في مرضه
الذي مات فيه :

إلهي لا تعذبني فاني مقررٌ بالذي قد كان مني
فقال حيلةٌ إلا رجائي

لعفوك إن عفوت وحسن ظني
وكم من زلةٍ لي في الخطايا

وأنت عليّ ذو فضلٍ ومن
إذا فكرت في ندمي عليها

عضضتُ أنا ملي وقرعت سني
أجنُّ بزهرة الدنيا جنونا

واقطع طول عمري بالتمني
ولو أتي صدقت الزهد فيها

قلبتُ لأهليها ظهر المجن
يظن الناس بي خيراً وإني

كشرُّ الخلق إن لم تعف عني

ثم أمر أن يكتب على قبره:

أُذُنَ حَيٍّ تَسْمَعِي	إِسْمِي تَمَّ عِي وَعِي
أَنَا رَهْنٌ بِمُضْجِعِي	فاحذري مثل مصرعي
عشتُ تسعين حجةً	أُسَامَتْنِي لِمُضْجِعِي
كَمْ تَرَى الْحَيَّ ثَابِتًا	فِي دِيَارِ التَّزَعُّعِ
لَيْسَ زَادٌ سِوَى التَّقَى	فَاحْذِي مِنْهُ أَوْ دَعِي

وقد ذكر ابن خلدون أن قبره على نهر عيسى ببغداد،

قبالة قنطرة الزياتين ما

عقيدته الدينية والسياسية

السياسة
والزندقة

قد طعن الناس في دين أبي العتاهية ، وألصقوا به تهمة الزندقة التي شاع الاتهام بها في ذلك العصر ، واتخذها العباسيون وسيلة لإرهاب من تحدّثه نفسه بمخالفتهم ، أو الولاء لبني عمهم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان بنو العباس قد نقضوا ما اتفقوا عليه مع بني عليّ قبل قيام دولتهم ، من جعل الأمر شركة بينهم ، فاستأثروا به لأنفسهم ، وكان هذا سبباً لثورة بني عليّ عليهم ، وقد ثار معهم كثير من العلماء والعطاء ، وتشيع لهم كثير من الناس على العباسيين ، كما كانوا يتشيعون لهم على بني مروان

تشيع للعلويين

وكان أبو العتاهية يتشيع للعلويين ، ولم يكن مخلصاً للعباسيين في اتصاله بهم ، وفيما مدحهم به من شعره ، وكان لنشأته بالكوفة تأثير فيما ذهب إليه من ذلك التشيع ، لأنها كانت مهد التشيع للعلويين ، من يوم أن اتخذها عليّ رضي الله عنه عاصمة لخلافته ، وآثرها على المدينة التي كانت عاصمة الخلافة قبله ، وكان العباسيون يستريبون بأبي العتاهية من أجل ذلك ، فأحاطوه بجواسيسهم ، وحاولوا أن يلصقوا به تهمة الزندقة ليرهبوه بها ، ويلجئوه إلى الميل إليهم.

خوفا من قمتهم، ولكنه أمكنه مع هذا أن يقوم بتلك الدعاية
الشعرية التي أراد أن يفتح بها عيون الناس إلى عيوب حكمهم،
وإلى انتماسهم في الملاحى والذات، وانحرافهم عن سنن الخلفاء
الراشدين، والملوك الصالحين، وقد أعيام هذا السلاح الذي
يحاربهم به أبو العتاهية، فكانوا يأخذونه باللين مرة وبالشدّة
مرة أخرى، ولكن أخذهم له بذلك كان أدعى إلى اقتضاح
أمرهم، لأن مثل هذا لا يصح أن يؤاخذ عليه، ولا أن ينتقم
من صاحبه.

فلم يجدوا إلا أن يحاربوا دعايته الشعرية بتشكيك الناس في رمية بالزنادقة
عقيدته الدينية، ليضعف أثر شعره فيهم، ولا يصل إلى ما يريد
منهم، وقد اغتر بعض الناس بما كان يفتره أولئك الجواسيس
على أبي العتاهية، فطعنوا به في عقيدته الدينية، واختلقوا عليه
مثل ما كان يخلق عليه أولئك الجواسيس، ومن ذلك ما روى
النسائي عن محمد بن أبي العتاهية أنه كان لأبيه جارة تشرف
عليه، فرأته ليلة يئنت فروت عنه أنه يكلم القمر، واتصل الخبر بمحمد بن
ساحب الزنادقة، فصار إلى منزلها ليلا، وأشرف على أبي العتاهية
فرآه يصلى، فلم يزل يرقبه حتى قنت وانصرف إلى مضجعه،
وانصرف حمدويه خامسا

وكان أكثر الناس تشنيعاً عليه ^{بتهمة} الزندقة رجاء بن
سكامة ومنصور بن عمار ، وقد حدث العباس بن ميمون عن رجاء
قال : سمعت أبا العتاهية يقول : قرأت البارحة — عم يتساءلون —
ثم قلت قصيدة أحسن منها ، قال وقد قيل إن منصور بن عمار شنع
عليه بهذا

ولما قص منصور على الناس مجلس البعوضة قال أبو العتاهية :
إنما سرق منصور هذا الكلام من رجل كوفي ، فبلغ قوله منصوراً ،
فقال أبو العتاهية زنديقٌ ، أما تررنه لا يذكر في شعره الجنة
ولا النار ، وإنما يذكر الموت فقط ، فبلغ ذلك أبا العتاهية
فقال فيه :

يا واعظ الناس قد أصبحت منهمماً
إذ عبت منهم أموراً أنت تأثيها
كالملبس الثوب من عرى وعورته
للناس بادية ما إن يوارىها
فأعظم الأثم بعد الشرك نعلمه
في كل نفس عماها عن مساويها
عرفانها بعيوب الناس تبصرها
منهم ولا تبصر العيب الذي فيها

فلم تمض إلا أيام حتى مات منصور ، فوقف أبو العتاهية على
 قبره وقال : يغفر الله لك أبا السري ما كنت رميتني به
 وحدث محمد بن أبي العتاهية قال : لما قال أبي في عتبة :
 كَأَنَّمَا عَتَبَةٌ مِنْ حَسَنَاءِ دُمِيَّةٍ قَسَّ قَتْنَتَ قَسَّهَا
 يَارَبِّ لَوْ أُنْشِئْتَنِيهَا بَمَا فِي حَنَةِ الْفِرْدَوْسِ لَمْ أُنْشِئْهَا
 شَنَّعَ عَلَيْهِ مَنْصُورُ بْنُ عِمَارٍ بِالزُّنْدُقَةِ ، وَقَالَ : يَتَهَاوَنُ بِالْحَنَةِ ،
 وَيَبْتَدِلُ ذِكْرَهَا فِي شَعْرِهِ بِمِثْلِ هَذَا التَّهَانِ !

وَشَنَّعَ عَلَيْهِ أَيْضًا بِقَوْلِهِ :

إِنَّ الْمَلِيكَ رَأَى أَحَدَ سِنِّ خَلْقِهِ وَرَأَى جَمَالَكَ
 فَحَدَا بِقُدْرَةِ نَفْسِهِ حُورَ الْجَنَانِ عَلَى مِثَالِكَ
 وَقَالَ : أَيْصَوِّرُ الْحُورَ عَلَى مِثَالِ امْرَأَةِ آدَمِيَّةٍ ، وَاللَّهُ لَا يَحْتَاجُ
 إِلَى مِثَالٍ ، وَأَوْقَعَ لَهُ هَذَا عَلَى السَّنَةِ الْعَامَةِ ، فَلَقِيَ مِنْهُمْ بَلَاءً
 وَسَمَاجَةً هَذَا النِّقْدَ ظَاهِرَةً كُلِّ الظُّهُورِ ، فَانْهَ لَا يَصِحُّ أَنْ يَصِلَ
 الدِّينُ فِي الْخُرْجِ عَلَى الشُّعْرَاءِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ ، وَأَيْنَ ابْنُ عِمَارٍ فِي هَذَا
 مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَقَدْ اجْتَمَعَ بِيَايَهُ عَمْرُ بْنُ أَبِي رِيْعَةَ
 وَكُثَيْرُ عَزَّةَ وَجَمِيلُ بُشَيْنَةَ ، فَقَالَ لَهُمْ : أَنْشِدُونِي أَرْقَ مَا قُلْتُمْ فِي
 الْغَوَايِ ، فَأَنْشَدَهُ جَمِيلُ :

حلفتُ يميناً يا بُيْنَةَ صادقاً
فإن كنتُ فيها كاذباً فعميتُ
إذا كان جلدٌ غير جلدك مَسِي
وباشرفي دُونَ الشَّعَارِ شَرِيتُ
ولو أن راقى الموت يرقي جنازتي
بمنطقها في النساطين حَيَّيتُ
وأنشد كثيرٌ :

بأبي وأُمِّي أَنْتِ مِنْ مَظْلُومَةٍ
طَبِنَ الْعَدُوُّ لَهَا فَفَئِرَ حَالُهَا
لو أن عَزَّةَ خَاصَمَتِ شَمْسَ الصُّحَى
فِي الْحَسَنِ عِنْدَ مَوْقِعِ لَقْضَى لَهَا
وَسَعَى إِلَى بَصْرَمَ عَزَّةَ نِسْوَةٍ
جَعَلَ الْمَلِيكَ خَدُودَهُنَّ نَعَالَهَا
وأنشد ابن أبي ربيعة :

أَلَا لَيْتَ قَبْرِي يَوْمَ تُقْضَى مَنِيَّتِي
بِتِلْكَ الَّتِي مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ وَالْقَمَرِ
وَلَيْتَ طَهُورِي كَانَ رِيْقَكَ كُلَّهُ
وَلَيْتَ حَنُوطِي مِنْ مُشَاشِكَ وَالْدَّمِ

ألا ليت أمّ الفضل كانت قرينتي

هنا أو هنا في جنة أو جهنم

فقال عبد الملك لحاجبه : أعط كل واحد منهم ألفين ، وأعط صاحب جهنم عشرة آلاف ، ولكن هذا عصر وذاك عصر ، والناس في كل عصر على دين ملوكهم ؛ وإذا كان المباسيون قد تغالوا في أخذ الناس بالزندقة في دولتهم ، فلم لا يتغالي ابن عمار وأشباهه في ذلك أيضا ؟

وكان أبو العتاهية ينكر ما ينسب إليه من تلك التهمة الباطلة ؛ حدث الخليل ابن أسد النوشجاني قال : جاءنا أبو العتاهية إلى منزلنا فقال : زعم الناس أني زنديق ، والله ما ديني إلا التوحيد ، فقلنا له : قل شيئا نتحدث به عنك ، فقال :

ألا إننا كلنا بائد	وأى بني آدم خالد
وبدؤهم كان من ربهم	وكل إلى ربه عائد
فيا عجباً كيف يعصى إلا	أم كيف يحجده الجاحد
ولله في كل تحريكة	وفي كل تسكينة شاهد
وفي كل شيء له آية	تدل على أنه الواحد

والحقيقة أن أبا العتاهية كان يذهب إلى مذهب الزيدية تحقيق عقيدته

الْبُتْرِيَّةُ^(١) وهم من شيعَةِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ،
وكانوا أخف الشيعة في أمر الشيخين أبي بكر وعمر ، وأقربهم إلى
إلى مذهب أهل السُّنَّةِ ، وكان أبو العتاهية لا ينتقص أحدا من المسلمين ،
ولا يرى الخروج على السلطان ، وكان مُحَبِّراً ، يقول بالتوحيد ،
ويزعم أن الله خلق جوهرين متضادين لا من شيء ، ثم بنى العالم
هذه البُنيَّةَ منهما ، وهو حادث العين والصنعة ، لا يحدث له إلا
الله تعالى ، وسيرد الله كل شيء إلى الجوهرين المتضادين قبل أن
تفنى الأعيان جميعا ، وكان يذهب إلى أن المعارف واقعة بقدر
الفكر والاستدلال والبحث طَباعاً ، ويقول بالوعيد وتحريم
المكاسب :

ولما ظهر الخلاف في خلق القرآن كان من يقولون بخلقهِ ، وقد
حدث شُعَيْبُ بْنُ صَاحِبِ بْنِ أَبِي دُوَادٍ قَالَ : قلت لأبي العتاهية :
القرآن عندك مخلوق أم غير مخلوق ؟ فقال : أسألتني عن الله أم عن
غير الله ؟ قلت : عن غير الله ، فأمسك ، وأعدت عليه فأجابني هذا
الجواب ، حتى فعل ذلك مرارا ، فقلت له : مالك لا تجميعيني ؟
قال : قد أجبتك ، ولكنك حمار

(١) تنسب إلى المغيرة بن سعد ، وكان يلقب بالابتري ، وقد ذكرهم
المسعودي في مروج الذهب ص ١٤٢ ج ٣ باسم الإبترية

فهذه هي عقيدة أئمة المتأهية ، ولا شيء فيها مما ينسبه إليه
أولئك الناس من الزندقة ، وإن كان يخالف فيها المعروف من مذهب
الجماعة ، فليس كل من خالفهم يكون زنديقا ، لأن الفرق الإسلامية
لا تكاد تنحصر ، واسم الإسلام يجمعها كلها ، والزنديق هو الذي
يبتط عن الكفر ويظهر الإسلام ، فلا يكون من الإسلام في شيء .

ولا يحب أن نختم هذا الفصل بدون أن نشكر على العباسيين إنكار التجسس
الديني ما ابتدعوه من نظام التجسس على الناس في عقائدهم ، وما كانوا
يأتونه من القتل على تهمة الزندقة ، فالإسلام لا يعرف شيئا من
ذلك التجسس على العقائد ، ولا يسمح القتل على تلك التهمة ، وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم : أصرت أن أعمل بالظاهر ، والله يتولى
السرائر ، وقد عاش المنافقون معه في المدينة ، ولقي من كيدهم له
ما لقي ، ومع هذا كان يقبل منهم ما يظهر منه من الإسلام ، ولم يكن
له جواسيس على عقائدهم كجواسيس العباسيين ، والحقيقة أن
هؤلاء الجواسيس كانوا جواسيس سياسيين ، وأن غرض العباسيين
منهم لم يكن إلا إرهاب خصومهم باسم الدين .

والله اعلم بالصواب

والله اعلم بالصواب

زهدہ و تکسبہ بالشعر

طعنهم به في زهدہ
كان أبو العتاهية شاعرا يتكسبُ بشعره ، وقد تكسب به قبل
أخذه بالزهد وبعد أخذه به ، فلم ينقطع عن العباسيين وقبول جوائزهم
من عهد اتصاله بالمهدي ، إلى أن مات في عهد المأمون ، وقد يبدو
لأول النظر أن الزهد والتكسب بالشعر لا يجتمعان ، وهذا طعن
خصوص أبي العتاهية عليه في زهدہ ، وانتقص منه منافسوه في الشعر
وحملوه على المخادعة والرياء ، ومن ذلك أن المأمون أنشد بيت أبي
العتاهية في سلم الخاسر :

تعالى الله ياسلم بن عمرو أذل الحرصُ أعناق الرجال
فقال المأمون : إن الحرص لفسد للدين والمروءة ، والله ما عرفت من
رجل قط حرسا ولا شرها فرايت فيه مضطنعا . فبلغ ذلك سلما
فقال : ويلى على المخنث الجرار الزنديق ، جمع الأموال وكنزها ؛
وعبأ البدر في بيته ، ثم تزهد مرأة وثاقا ، فأخذ يهتف بي إذا
تصدت لطلب

وقد اجتمع أبو العتاهية مع جماعة عند قثم بن جعفر بن
سليمان ، فأخذ ينشد في الزهد ، فطلب قثم الجمار فأحضر إليه ،

وأبو العتاهية ينشده ، فانشأ الجمار يقول :

ما أقبح التزهيد من واعظ يزهد الناس ولا يزهد
لو كان في تزهيده صادقا أضحي وأمسى بيته المسجد
يخاف أن تنفد أرزاقه والرزق عند الله لا ينفد
والرزق مقسوم على من ترى يناله الأبيض والأسود

فالتفت أبو العتاهية إليه ، فقال من هذا ؟ قالوا الجمار ، وهو
ابن أخت سلم الخاسر ، اقتصّ لخاله منك ، فأقبل عليه وقال له :
يا ابن أخي ، إني لم أذهب حيث ظننت ولا ظن خالك ، ولا أردت
أن أهتف به ، وإنما خاطبته كما يخاطب الرجل صديقه ، فإله يغفر
لكما ، ثم قام

وحدث حبيب بن عبد الرحمن عن بعض أصحابه قال : كنت
في مجلس خزيمة فجرى حديث ما يسفك من الدماء ، فقال : والله
مالنا عند الله عذر ولا حجة إلا رجاء عفوه ومغفرته ، ولو لا عز السلطان
وكرهه الدلة ، وأن أمير بعد الرياسة سوقة ، وناجا بعد ما كنت متبوعا ؛
ما كان في الأرض أزهى ولا أعبد مني ، فاذا هو بالحاجب قد دخل عليه
برقة من أبي العتاهية فيها مكتوب :

أراك امرءا ترجو من الله عفوه

وأنت على مالا يحب مقيم

تَدُلُّ عَلَى التَّقْوَى وَأَنْتَ مُقَصِّرٌ
وَأَنْ أَمْرًا مِثْلَهُ الْيَوْمُ عَنْ غَدٍ
وَأَنْ أَمْرًا مِثْلَهُ الْبَرِّ كَنْزُهُ
وَأَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا لَهُ لَعْدِيمٌ

فَغَضِبَ خَزِيمَةُ وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا الْمَعْرُوفُ عِنْدَ هَذَا الْمَعْتُوهِ
الْمَلْحَفِ مِنْ كَنْزِ الْبَرِّ فَيَرْغَبُ فِيهِ حَرٌّ ، فَقِيلَ لَهُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟
فَقَالَ : لِأَنَّهُ مِنَ الَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

وَقَدْ كَانَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ يَأْخُذُ مَعَ هَذَا بِالْبَخْلِ ، فَأُضَافَ إِلَى ذَلِكَ طَعْنُهُمْ فِيهِ بِبَخْلِهِ

سِلَاحًا لَخَصُومِهِ بِسَعْمَلُونَهُ أَيْضًا فِي تَشْوِيهِ زَهْدِهِ ، لِأَنَّهُ يَبْدُو لِأَوَّلِ
وَهْلَةٍ أَنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ مَعَ الزَّهْدِ ، كَمَا لَا يَجْتَمِعُ مَعَهُ التَّكْسِبُ بِالشَّعْرِ ، وَقَدْ
رَوَى خَصُومُهُ نَوَادِرَ كَثِيرَةً فِي بَخْلِهِ ، غَالُوا فِيهَا مَغَالَاةً كَثِيرَةً ،

لِيُحَارِبُوا بِهَا دَعْوَتَهُ فِي الزَّهْدِ ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ ثُمَامَةُ بْنُ
أَشْرَسٍ ، قَالَ : أَنْشَدَنِي أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُعْتِقْ مِنَ الْمَالِ نَفْسَهُ تَمَلَّكَهُ الْمَالُ الَّذِي هُوَ مَالِكُهُ
أَلَا إِنَّمَا مَالِي الَّذِي أَنَا مُنْتَفِقٌ وَلَيْسَ لِي الْمَالُ الَّذِي أَنَا تَارِكُهُ
إِذَا كُنْتُ ذَا مَالٍ فَيَكْدِرُ بِهِ الَّذِي يَحِقُّ وَالِاسْتِهْلَاقُ مِمَّا لِي بِهِ

فَقُلْتُ : مَنْ أَيْنَ قَضَيْتَ بِهَذَا ؟ فَقَالَ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّمَا لَكَ مَالُكَ مَا أَكَلْتَ فَأَنْفَيْتَ ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ ،
أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ » فَقُلْتُ لَهُ : أَتُؤْمِنُ بِأَنْ هَذَا قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم ، وأنه الحق ؟ قال نعم ، قلت : فلم تحبس عندك
سبعاً وعشرين بذرة في دارك ؟ ولا تأكل منها ولا تشرب ولا
تركي ، ولا تقدمها ذكراً ليوم فقرك وفاققتك ، فقال : يا أبا معمر ،
والله إن ما قلت هو الحق ، ولكنني أخاف الفقر والحاجة إلى الناس ،
فقلت : وبم تزيد حال من افتقر عن حاله ؟ وأنت دائم الخوص ،
دائم الجمع ، شحيح على نفسك ، لا تشتري اللحم إلا من عيد إلى
عيد . فترك جواب كلامي كله ، ثم قال لي : والله لقد اشتريت
في يوم عاشوراء لحماً وتوابله وما يتبعه بخمسة دراهم ، فلما قال لي
هذا القول أضحكني ، حتى أذهاني عن جوابه ومعايسته ، فأمسكت
عنه : وعلمت أنه ليس ممن شرح الله صدره للإسلام . ولا يخفى
على الناظر في هذه الرواية أنها متكلفة لأجل الوصول إلى هذه الغاية ،
وهي نفي الإسلام عن أبي العتاهية ، مع أنها على فرض صحتها لا
تؤدي إلى ذلك ، وإلا كان كل بخيل غير مسلم .
وحدث محمد بن عيسى الخزيمى ، وكان جارا لأبي العتاهية ،
قال : كان لأبي العتاهية جار يلتقط القوى ، ضعيف من الحال ،
متجمل عليه ثياب ، فكان يمر بأبي العتاهية طرفي النهار ، فيقول
أبو العتاهية : اللهم أغنه عما هو بسبيله ، شيخ ضعيف من الحال ،
عليه ثياب متجمل ، اللهم أغنه اصنع له بركة فيه . فبقي على هذا

إلى أن مات الشيخ نحو من عشرين سنة ، فقلت له يوماً : يا أبا إسحاق ، إني أراك تكثر الدعاء لهذا الشيخ ، وتزعم أنه فقير مقل ، فلم لا تصدق عليه بشيء ؟ فقال : أخشى أن يعتاد الصدقة ، والصدقة آخر كسب العبد ، وإن في الدعاء لخيراً كثيراً

وقال علي بن مهدي ، حدثني الحسين بن أبي المرى ، قال : قيل لأبي العتاهية مالك تبخل بما رزقك الله ؟ قال : والله ما بخلت بما رزقني الله قط ، قيل له : وكيف ذاك وفي بيتك من المال مالا يحصى ؟ قال : ليس ذلك رزقي ، ولو كان رزقي لأفقتته

وقال محمد بن عيسى : قلت لأبي العتاهية أتركي مالك ؟ فقال : والله ما أثق على عيالي إلا من زكاة مالي ، فقلت : سبحان الله ! إنما ينبغي أن تخرج زكاة مالك إلى الفقراء والمساكين ، فقال : لو انقطعت عن عيالي زكاة مالي لم يكن في الأرض أفقر منهم ، وهذا الجواب كالذي قبله في الرواية السابقة في أن مثلهما لا يصح أن يصدر من أبي العتاهية ، فإن مثله لا يصح أن يجمل أن ما في بيته رزقه ، ولا أن يجمل أن أولاده تجب عليه نفقتهم ، فلا يصح إخراج زكاته لهم ، ولكن قصد المغالة في بخله هو الذي يحمل هؤلاء الناس على إسناد مثل تلك الأقوال إليه

أبطال طعنهم وليس هناك غير ذينك الأمرين يمكن أن يعلمان به في زهد

أبى العتاهية، وإبى أرى أنه لا محل للطن عليه بهما، فأما التكسب
 بالشعر فلا شيء فيه ينافي الزهد، لأن الزهد في الاسلام لا يمنع
 صاحبه من الأخذ بأسباب الرزق، والسعى في الحصول على ما يمكن
 العيش به، ويعلم أن به الرجل على مستقبله، وليس الزهد فيه إلا
 التورع عن الحرام وبيع الآخرة بالدنيا، وقد روى عن النبي صلى
 الله عليه وسلم أنه قال «خذ من يومك لعدك ومن صحتك لمرضك
 ومن غناك لفقرك» والشعر فن من الفنون التي لا غنى للدولة عنها،
 ولهذا اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم له شعراء يدافعون عنه، ويؤيدون
 دعوة الاسلام، فيجب أن يأخذ الشعر حظه من الأموال التي تجبى
 من الدولة؛ ويجب على رجال الدولة أن يبسطوا أيديهم بالمعطاء
 للشعراء لينهضوا بالشعر، ويعملوا على إجادته، وليس على انشراء حرج
 إذا لم يصل إليهم ذلك الحق أن يتلطفوا في الوصول إليه بمدح
 الملوك والعظماء، وقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مدحه
 بشعره من الشعراء، فأعطى كعب بن زهير برؤيته حين مدحه
 بقصيدته (بانت سعاد) فبقيت في أهله حتى باعوها لمعاوية
 بمئتين ألف درهم، ثم بيعت للمنصور العباسي بأربعين ألفاً، وقال
 عمر رضي الله عنه: نعم ما تعلمته العرب، الأبيات من الشعر يقدمها

الرجل أمام حاجته .

وإنما يذم التكسب بالشعر إذا بالغ صاحبه في الإلحاح به ، وجعله كل غاية من الشعر ، فيمدح به من يعطيه ، ويهجو من يمنعه ، ويقلب به الحقائق في سبيل المال ، فيجعل الحق باطلاً ، ويجعل الباطل حقاً .

شرفه في تكسبه

ولم يكن هذا سبيل أبي العتاهية في شعره حتى قبل زهده ؛ وقد ذكرنا في ترجمته ما يدل على شرف نفسه ، وأنه لم يكن يقبل المال إلا بعد الإلحاح به عليه ، كما حصل منه مع عتبة ، وكما حصل منه مع المهدي حينما أعطاه خمسين ألف درهم ، ففرقها على من بالباب ، وقال : ما كنت لأكل ثمن من أحببت ، ثم كان يحاول في آخر حياته أن يجعل جوائز الملوك له على هدايا يقدمها لهم ، وهو في هذا يشعر بسمو منزلته إلى منزلتهم ، ويرفع عن ذلك التكسب الذي كان يأخذ به في أول الأمر ، وإن كان على تلك الطريقة التي ليس فيها عيب عليه .

وقد ذكرنا أيضاً من مواقفه مع أولئك الملوك وغيرهم ما يدل على أنه لم يكن يهجمهم أمر عطاياهم ، وعلى أن تلك العطايا لم تكن بحيث تنسبه أن ينكر منهم ما يستحق الإنكار ، وأن يقضب لنفسه إذا رأى منهم نهواً به ، وإنما ذكر من ذلك هنا ما حدث به .

الحسين بن أبي السري قال : مر القاسم بن الرشيد في مؤكب
عظيم ، وكان من أتبيه الناس ، وأبو العتاهية جالس مع قوم على ظهر
الطريق ، فقام أبو العتاهية حين رآه أعظم ماله ، فلم يزل قائما حتى جاز ،
فأجازه ولم يلتفت إليه ، فقال أبو العتاهية :

يَتِيهِ ابْنُ آدَمَ مِنْ جِهْلِهِ كَأَنَّ رَحَاَ الْمَوْتِ لَا تَطْحَنُهُ
فسمع بعض من كان في موكب ذلك ، فأخبر به القاسم ، فبعث
إلى أبي العتاهية وضر به مائة مقررعة ، وقال له : يا ابن القاعلة ، اتعرض
لي في مثل ذلك الموضع ؟ وحبسه في داره ، فُدسَّ أبو العتاهية إلى
زُبَيْدَةَ بنت جعفر وكانت توجه له هذه الآيات :

حَتَّى مَتَى ذَوَاتِيهِ فِي تَبِيهِ أَصْلَحَهُ اللَّهُ وَعَافَاهُ
يَتِيهِ أَهْلُ التَّبِيهِ مِنْ جِهْلِهِمْ وَهُمْ يَمُوتُونَ وَإِنْ تَاهُوا
مَنْ طَلَبَ الْعِزَّ لِيَبْقَى بِهِ فَالْإِزَّ الْمَرْءُ يَقْوَاهُ
لَمْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ مَنْ لَيْسَ يَرْجُوهُ وَيُخْشَاهُ

وكتب إليها بحاله وضميق حبسه ، وكانت ماثلة إليه ، فرقت له
وأخبرت الرشيد بأمره ، وكلته فيه ، فأحضره وكساه ووصله ، ولم يرض
الرشيد عن القاسم حتى برأ بالعتاهية وأدناه واعتذر إليه

وحدث محمد بن عيسى قال : كنت جالسا مع أبي العتاهية ، إذ مر بنا
حميد الطوسي في مؤكبه ، وبين يديه القرطبان والرجالة ، وكان بقرب

أبى العتاهية سوادى على أتان، فضربوا وجه الأتان، ونحوه عن الطريق،
وحميد واضع طَرَفَهُ على مَعْرِفَةِ فرسه، والناس ينظرون اليه يَعْجَبُونَ
منه، وهو لا يلتفت تَيهَا، فقال أبو العتاهية:

الموت أبناء بهم ماشئت من صلفٍ وَتِيهٍ
وكأنتى بالموت قد دارت رخاه على بنييه

فلما جاز حميد مع صاحب الأتان قال:

ما أذلَّ المَقْلُ في أعين النَّاسِ سِ لَّا قَلَالِهِ وما أَقَامُهُ
إنما تنظر العيون من النا سِ إلى من ترجوه أو تخشاه

وأما مخله فنحن نعتقد كما قدمنا أنه لم يصل إلى ذلك الحد الذي
اِخْتَلَقَتْ عليه فيه تلك النوادر، ومع هذا نعرف بأن أبا العتاهية كان
ضئيضا بما له على الناس، ويشفع عندنا له في ذلك أنه كان رجلا شاعرا،
يجمع ماله من أيدي الملوك والعطاء، ويتحمل ما يتحمل في ذلك من
كان مثله في عزة نفسه وعلو قدره وتطلعه إلى أن يكون في قومه
الشاعر المصاح، والحكيم المُرَبَّى للنفوس، فاذا ضن بما له بعد هذا فإما
يحمله على ذلك أن يكون دائما في غير حاجة مُدَحَّةٍ إلى من يحاول أن
يشترى بها شعره، فيسير فيه كما يحب هو أن يسير فيه، لا كما يحب
أن يسير فيه غيره، وقد كان أبو العتاهية مهيدا دائما من أجل ذلك
بالحرمان، وعرضة للتضييق عليه بالسجن واستباحة المال، فهو يجمع من

اللئال ما يجده في وقت غضب أوثك الملوك عليه ويضن به على الناس
الذين لا يجد منهم في ذلك الوقت إلا شامتاً أو ناسياً للعهد

وقد كان أبو العتاهية يسيء الظن بالناس ويؤثر العزلة عنهم، وكان له فيهم تبخيل كل الناس
لهذه غريب، يقضى بتبخيلائهم كلهم، فهو يقارضهم بخلا يبخل؛ ويشع
عليهم بما يشحون به، قال بخارق: القيت أبا العتاهية على الجسر، فقلت
له يا أبا إسحاق أنشدني قولك في تبخيل الناس كلهم؟ فضحك وقال
لي: ها هنا؟ قلت نعم، فأنشدني:

إن كنت متحداً خليلاً	فتنقّ وانتقد الخليلاً
من لم يكن لك منصفاً	في الود فابغ به بديلاً
ولربما سئل البخ	يل الشئ لا يسوى فتيلاً
فيقول لا أجد السبي	ل إليه يكره أن ينيلاً
فلذلك لا جعل إلا	له إلى خير سبيلاً
فاضرب بطرفك حيث شئت	فإن ترى إلا بخيلاً

فقلت له: أفرط يا أبا إسحاق، فقال: فديتك فأكذبني بجواد،
واحد، فأحببت موافقته، فالتفت يميناً وشمالاً، ثم قلت ما أجد،
فقبل بين عيني وقال: فديتك يا بني، لقد وفقت حتى
كدت تسرف

والحق أن أبا العتاهية كان عظماً في عصره، ولم يزر به ذلك

التكسب بالشعر الذي لم يذل فيه لأحد، وكان الملوك يفرضونه له على
أنفسهم، ولم يزر به ذلك البخل الذي كان يقارض الناس به؛
ومن أقوى ما يدل على علو منزلته في ذلك العصر أنه كان له
بنتان إحداهما «الله» والثانية «بالله» فخطب منه المنصور بن المهدي
وأخو الرشيد «الله» فلم يزوجها وقال: إنما طلبها لأنها بنت أبي العتاهية،
وكأنني به قد ملكها فلم يكن لي إلى الانتصاف منه سبيل، وما كنت
لأزوجها إلا بائع خرف وجرار، ولكنني أختارها لها بوسرا ما.

الملك المنصور بن المهدي

الملك الرشيد بن الرشيد

الملك المنصور بن المهدي

الملك الرشيد بن الرشيد

الملك المنصور بن المهدي

الملك الرشيد بن الرشيد

الملك المنصور بن المهدي

الملك الرشيد بن الرشيد

الملك المنصور بن المهدي

الملك الرشيد بن الرشيد

الملك المنصور بن المهدي

تَحَامِقُهُ

كان خصوم أبي العتاهية مُضْطَرِبِينَ في أمره ، وقد حيرتهم رمية بالحق تلك الدعوة التي قام بها يَسَّهَ أَرَاءَهُمْ ، ويذكرهم بما غفلوا عنه من أمور الآخرة ، وخافوا على سلطانهم في الشعب أن تؤثر فيه هذه الدعوة ، فأخذوا يرمونه مرة بالزُّنْدَاقَةِ ، ويرمونه مرة أخرى بِالْحَقِّ ، وهما وصفان لا يجتمعان في العادة ، وقد قال من رماه بالحق إنه من أجله كُتِبَ أبا العتاهية ، أخبر ميمون بن هارون عن بعض مشايخه قال : كنى بأبي العتاهية أن كان يحب الشهرة والمجون والتعته ، وأخبر محمد بن موسى بن حماد أن المهدي قال يوماً لأبي العتاهية : أنت إنسان متَحَدِّقٌ مَعْتَه ، فاستوت له من ذلك كنية غلبت عليه دون اسمه وكنيته ، وسارت في الناس . قال : ويقال للرجل الْمُتَحَدِّقُ عَتَاهِيَّةٌ ، كما يقال للرجل الطويل شَفَاجِيَّةٌ ، ويقال أبو عتاهية باسقاط الألف واللام

وهم يروون له في ذلك حماقات كثيرة ، منها ما حدث به عُمَرُوسُ ما يروى من صاحب الطعام — وكان جار أبي العتاهية — قال : كان أبو العتاهية حماقاته من أقل الناس معرفة ، سمعت بَشْرًا المُرِّيْسِيَّ يقول له : يا أبا

إسحاق ، لا تُصَلِّ خلف فلان جارك وإمام مسجدكم ، فإنه مشبه ،
قال : كلاً ، إنه قرأ بنا البارحة في الصلاة (قل هو الله أحد) وإذا
هو يظن أن المشبه لا يقرأ قل هو الله أحد . وعندى أن أبا العتاهية
يريد بهذا أنه مسلم ، وكل مسلم تصح الصلاة خلفه ، وإن انحرف
مثل هذا الانحراف في مذهبه ، وقد كان بشر المريسي من أئمة
المعتزلة ، ويرى في أهل السنة من السلف أنهم مشبه ، مثل الامام
أحمد بن حنبل ، والامام مالك ، وغيرهما ، فذلك جواب دقيق
من أبي العتاهية ، يدل على قَرَطِ ذكائه ، لا على حقه وتعتبه ،
وقد كان أبو العتاهية كما سبق شيعياً معتدلاً لا ينتقص أحداً ،
فهو في ذلك متفق مع مذهبه ، أما بشر المريسي فكان معتزلياً
متعصباً يكفر في مثل ذلك وفي أقل منه

ومنها ما ذكرناه عن مخارق فيما سبق ^(١) حينما دعاه ففناه
وشرب معه ، ثم أمر غلامه فكسر كل ما بين أيديهم من التبتد
وآلته والملاهي ، قال مخارق : فظننت أنها بعض حماقاته ، فانصرفت
ومالقيته زماناً ، ثم تشوقت فأتيته فاستأذنت عليه ، فأذن لي

فدخلت ، فاذا هو قد أخذ قَوْصَرَيْنِ وثَقَبَ إحداهما ، وأدخل رأسه ويديه فيها ، وأقامها مقام القميص ، وثقب أخرى وأخرج رجله منها وأقامها مقام السرَّ أو بيل ، فلما رأيته نَسِيتُ كل ما كان عندي من الغم عليه ، والوحشة لعِشْرَتِهِ ، وضحكت والله ضحكا ما ضحكت مثله قط . فقال : من أى شئ ، تضحك ؟ فقلت : استخَنَ اللهُ عينك ، هذا أى شئ هو ؟ من بلغك عنه أنه فعل مثل هذا من الأنبياء والزهاد والصالحين والمجاهدين ؟ انزع عنك هذا ياسخين الدين ، فكأنه استحميا منى . ثم بلغنى أنه جلس حَجَّامًا ، فَجَهِدْتُ أَنْ أراه بتلك الحال فلم أراه ، ثم مرض فبلغنى أنه يشتهي أَنْ أَغْنِيَهُ ، فَأَتَيْتُهُ عَائِدًا ، فخرج إلى رَسُولِهِ يقول : إن دخلت إلى جَدَدْتِ لى حزنا ، وتآقتْ نفسى من سماعك إلى ما قد غلبتها عليه ، وأنا أستودعك الله ، وأعتذر اليك من ترك الالتقاء ، ثم كان آخر عهدى به

وقد ذكرنا رأينا هناك فى صدر تلك الرواية : وأنا نستبعد حدوث مثله من شخص عزم على مثل ذلك العزم ، فأما ما زاده هنا من جلوسه لِلْحِجَامَةِ ونحوه فسنذكر بعد رأينا فيه ومنها ما ذكره بَشْرُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ :

بلغنى أنك لما نسكت جلست تخرجم اليتامى والفقراء للسبيل ،
 أ كذالك كان ؟ قال نعم ، قال له : فإذا أردت بذلك ؟ قال :
 أردت أن أضع نفسى حسماً رفعتنى الدنيا ، ليستط عنها الكبير ،
 وأكتسب بما فعلته الثواب ، وكنت أحجم اليتامى والفقراء
 خاصة ، فقال له بشر : دعنى من تذييل نفسك بالحجامة ، فإنه
 ليس بحجة لك أن تؤدبها وتصلحها بما اهلك تقصد أمر غيرك ،
 أحب أن تخبرنى هل كنت تعرف الوقت الذى كان يحتاج فيه من
 تحجيمه الى إخراج الدّم ؟ قال لا ، قال : هل كنت تعرف مقدار
 ما يحتاج كل واحد منهم الى أن يخرج على قدر طبعه ، مما إذا
 زدت فيه أو نقصت منه ضرّ الحجوم ؟ قال لا ، قال : فما أراك إلا
 أردت أن تتعلم الحجامة على أقفاء اليتامى والمساكين

ولا شئ عندى فى أن يحبل أبو العتاهية مثل ذلك من
 أصول الحجامة ، لأنه كان رجلاً شاعراً ، ولم يكن حجّاماً ، وإنما
 هى حرفة سهلة لجأ اليها لينجو بها من السيف الذى كان مسلطاً
 على رقبته ، وحيالة من حيله التى كان يتخلص بها من أولئك
 الجواسيس الذين كانوا يحيطون به من قبل العباسيين

روى أبو الفرج الأصبهاني قال : أخبرنى محمد بن الصولي ،

قال حدثنا ابن ذَكْوَانَ ، قال حدثنا العباس بن رُسْتَم ، قال .
كان حَمْدُوَيْهِ صاحب الزَّنَادِقَةِ قد أراد أن يأخذ أبا العتاهية ،
ففرغ من ذلك وقعد حجَّامًا

وإذن يكون خوفه من حمدويه هو الذي حمّله على أن يحترف تخلصه بها من
هذه الحرفة التي لم تكن من شأنه ، لا ما قاله لبشر بن المعتز من تهمة الزنادقة
أنه أراد بها تدليل نفسه ، ويمكن أن يحمل على هذا كل ما روى
عن أبي العتاهية من الحقايق ، فلم تكن منه إلا تحامقًا يقصد به
مُداوَاةَ أهل الحَقِّ والجهل من العامة وأشباههم ، والتخلص من
أهل الظلم الذين كانوا يحاربونه في عقيدته ، ويحاولون أن
يُلصِّقوا به تهمة الزنادقة ، وقد يحمل مثل ذلك بعض ذوي العقول
على التَّحَامُقِ ، كما روى أنه جرى بين الإمام الشافعي وبعض من
صحابه مجادلةً ، فقال رحمه الله في ذلك .

وَأَنْزَايَ طُولُ النَّوَى دَارَ غُرْبَةٍ

إِذَا شِئْتُ لَأَقِيْتُ أَمْرًا لَا أَشَاكُهُ

أَحَامِقُهُ حَتَّى يَقَالَ سَجِيَّةٌ

ولو كان ذا عقل لَكُنْتُ أَعَاقِلُهُ

فلم يكن أبو العتاهية يقصد من كل ذلك إلا اتقاء ما كان
يُذْهِبُ له من ضروب الكيد ، لأن ظهوره بهذا الظاهر يُهَوِّنُ من

أمره عند من يقصده بالشر، ويجعله امرأ لا يخاف منه شيء، وهم لم يكونوا يقصدون منه إلا أن يترك تلك الدعاية الشعرية السابقة، فاذا تركها ولجأ إلى تلك الحجامة ونحوها نجوا منهم، وتخلص من شرهم

وقد كان أبو العتاهية يعتمد في تلك الحياة المضطربة على ضروب من الحيلة كان يجيد تمثيلها، وقد أمكنه بها أن يعيش مع أولئك الملوك الذين كانوا إذا غضبوا لا يردُّ عنهم شرع، ولا يقف بهم الغضب عند حد، ولولا ذلك لطاحت رقبتهم فيمن طاحت رقابهم، ممن لم تكن الحيلة تساعفهم في وقت الشدة، كما كانت تساعف أبا العتاهية، وقد كان أبو العتاهية صاحب حيل ونوادر لطيفة، وكان يتوصل بها إلى ما يعجز عنه غيره، وينال بها القبول عند أصحاب الحل والعقد في عصره، من رجاله ونسائه؛ ومن ذلك ما ذكرناه في ترجمته من نوادره مع صاحبه عتبة^(١)

أما تسكينته بأبي العتاهية فيجوز أن يكون من أجل تلك الأمور التي كان يتعاطق بها، كما يرى ذلك من سبق من خصومه، ويجوز أن يكون من أجل ابنه عتاهية، وقد ذكر عنه صاحب

الأغاني بعضاً من أخبار أبيه^(١) وهذا عندي هو الرأي الراجح في تلك
الكنية ، وقيل إن المهدي قال له يوماً : أنت إنسان متحذلقٌ معتهٍ .
فاستوت له من ذلك كنية أبي المتاهية ؛ وكان قبلها يكنى أبا
إسحاق ، وروى ميمون بن هارون عن بعض مشايخه أن هذه
الكنية كانت من أجل أنه كان يحب الشهرة والمجون والتعته ؛
وقد يقال للرجل المتحذلق عتاهية ، كما يقال للرجل الطويل مناجيةً

(١) وقد مر على في مطالعاتي من سمي به غيره ، ومن ذلك
حسان بن عتاهية صاحب شرطة مصر في عهد مروان بن محمد آخر
ملوك بني مروان

منزله في الشعر

زعامة طبقة

قد وازننا فيما سبق بين أبي العتاهية وبشار وأبي نواس ،
 وخرجنا من هذه الموازنة بتقديم أبي العتاهية عليهما ، وإذا كان
 ذلك التقديم عليهما ، فله التقديم على طبقة من الشعراء المحدثين ،
 ويكفي أبا العتاهية في ذلك توجيه الشعر إلى تلك الوجهة الصالحة ؛
 وما لقيه في ذلك من تألب ملوك عصره عليه ، وما عذّبوه به من
 سجن وغيره ، وما ناله فيه من الطعن في دينه وشرفه وعقله ، فلم
 يحل كل هذا بينه وبين تأدية رسالته في الشعر ، وذهابه فيه إلى
 جد الحياة دون هزلها ، وإلى تربية الشعب وهدايته ، وإنارة
 السبيل أمامه ، وتقوم عوجه وزيفه ، بينما كان غيره يحمله لهو
 الشعب ، وداعية فساد و ضلاله

تقديم أبي
 نواس له

وهذا الذي تقدم به أبا العتاهية من أجله قد اعترف به أبو نواس
 من قبلنا ، وفصل به أبا العتاهية على نفسه ، حدث هارون بن
 سعدان قال : كنت مع أبي نواس في بعض طرق بغداد ، وجعل
 الناس يمرون به وهو ممدود الرجل ، بين بني هاشم وفتياتهم ،
 والقواد وأبنائهم ، ووجوه أهل بغداد ، فكل يسلم عليه فلا يقوم

إلى أحد منهم ، ولا يقبض رجله إليه ، إذ أقبل شيخ راكبا على
 حمار مسمى ، وعليه ثوبان دَبِيقِيَّان : قميص ورداء ، قد تقنّع
 وردّه على أذنيه ، فوثب إليه أبو نواس ، وأمسك الشيخ عابجه
 حماره ، واعتنقا ، وجعل أبو نواس يحادثه وهو قائم على رجله ،
 فشكّتا بذلك ملكيا ، حتى رأيت أبا نواس يرفع إحدى رجليه
 ويضعها على الأخرى ، مستريحاً من الاعياء ، ثم انصرف الشيخ ،
 وأقبل أبو نواس فجلس في مكانه ، فقال له بعض من بالحضرة : من
 هذا الشيخ الذي رأيتك تعظمه هذا الاعظام ؟ وتجاهه هذا
 الاجلال ، فقال : هذا إسماعيل بن القاسم أبو المتاهية ، فقال له
 السائل : لم أجلمته هذا الاجلال ؟ وساعة منك عند الناس أكثر
 منه ، قال : ويحك لا تفعل ، فوالله ما رأيته قط إلا توهمت أنه
 سماوي ، وأنا ارضي

ويكنى أبا المتاهية في ذلك أيضا أنه كان في عصره الشاعر كيف كان
 الشعبي ، إذ أمكنه أن يذوّ بالشعر العربي إلى أفهام العامة ، فوردوا شاعر الشعب
 مناهله المذبة ، بعد أن حرموا منها زنا طويلا ، وأغلق دونهم
 بابه بنزول لغتهم عن لغته ، وانصراف الشعراء عنهم ، كأنهم من
 المجمّات التي لاحظ لها في الحكمة والأدب ، وقد وصل إلى هذا

وهو محتفظ للشعر بما يَتَطَلَّبُهُ منه الخاصة أيضا ، فأرضى بشعره
 الفريقين ، ولم ينزل به عن مرتبة فحول الشعراء ، وكان مُعْجِبًا
 كثيرًا بما وصل اليه من ذلك ، راضيا كل الرضا بتلك السهولة
 التي يَصُوغُ بها شعره ، قال سَلَمُ الخاسر : صار إلى أبو العتاهية ،
 فقال : جئتكَ زائرا ، فقلت : مقبول منك ، ومشكور أنت عليه ،
 فأقيم ، فقال : إن هذا مما يشتدُّ عليَّ ، قلت : ولِمَ يشتدُّ عليك
 ما يسهل على أهل الأدب ؟ فقال : لمعرفتي بضيق صدرك ، فقلت
 له وأنا أضحك وأعجب من مكابرتي « رَمَتْنِي بدائها وانسلت »
 فقال : دَعْنِي من هذا واسمع مني أبيانًا ، فقلت هات ، فأنشدني
 نَعَصَ الموتُ كُلَّ لَذَّةِ عيشٍ

يَالْقَوْمِ الموتِ ما أوحاهُ

عجبا إنه إذا مات ميتٌ

صدَّ عنه حبيبُه وجفاه

حيثما وَجَّهَ امرؤُا ليفوتَ الأ

موتَ فالموتُ واقفٌ بِحِذَاهُ

إِذَا الشَّيْبُ لابنَ آدَمَ ناعٍ

قام في عارضِيهِ ثم نساء

من تمنَّى المني فأغرق فيها

مات من قبل ان ينال منه

ما أذلَّ المقلَّ في أعين النا

سِ لإِقْلالة وما أقماء

إنما تنظر العيون من النا

سِ إلى من ترجوه أو تخشاه

ثم قال لي : كيف رأيتها ؟ فقلت له : لقد جَوَّدَ نَهْأَ لَمْ تَسْكُنْ

سَوَاقِيَّةٌ ، فقال : والله ما يُرَغِّبُنِي فيها إلا الذي رَهَّدَكَ فيها

وهذا العيب الذي ذكره سلم الخاسر هو ما يسمونه في علوم البلاغة

ابتذال الكلام ، وقد ذكرت في كتابي (البلاغة العالية) أن ذلك

ليس بعيب فيه ، وها هو ذا أبو العتاهية لا يعبا به ، وكيف يعبا به

وقد قام الشعر المحدث في عصره على اختيار هذه السهولة ، وترك

ما كان يُعْنَى به في الألفاظ من إظهار الفخامة والضحامة

وقد ذكر ابن رَشِيقُ أبا العتاهية فيمن كان يذهب إلى إشاره سهولة

اللفظ

سهولة اللفظ ، ويعتني بها مع الاجادة وملاحة القصد ، وأنه اجتمع

يوما مع أبي نُوَاسٍ والحسين بن الضَّحَّاك الخليلي ، فقال أبو نواس :

أينشد كل واحد منكم قصيدة لنفسه في مراده ، من غير مدح ولا

هجاء ، فأنشد أبو العتاهية :

يا إخواني إنَّ الهوى قاتلي فسَيِّروا الأَكفانَ من عاجلٍ

ولا تلوموا في اتِّباعِ الهوى فأنتي في سُغْلٍ شاغل
عبي على عتبةٍ منهلةٍ بدمعها المنسكب السائل
يا من رأى قبلي قتيلاً بكى من شدة الوجْدِ على القاتل
بسطتُ كفِّي نحوكم سائلاً ماذا تردُّون على السائل
إن لم تُنِيلُوهُ فقولوا له قولاً جميلاً بدلَ النَّائل
أو كُفِّمُ العامَ على عُسرةٍ منه فمُنُوهُ إلى قابل
فسلما له وامتنعما من الانشاد بعده ، وقال له : أما مع سهولة
هذه الألفاظ ، وملاحة هذا القصد ، وحسن هذه الاشارات ، فلا
تشد شيئاً . قال ابن رشيقي : وذلك في بابه من الغزل جيداً أيضاً ،
لا يفضله غيره

وكان أبو العتاهية يجزى في ذلك على سجيةٍ سهلةٍ مؤاتيةٍ ،
ويأتى فيه بشعر لا تكلف فيه ولا تصنع ، وبلغ من سهولة الشعر
عليه أنه كان يقول : لو شئت أن أجعل كلامي كله شعراً
لفعلت ، وقيل له : كيف تقول الشعر ؟ قال : ما أردته قط إلا مثلاً
لي ، فأقول ما أريد ، وأترك ما لا أريد ، وحدث عبد الله بن الحسن
قال : جاءني أبو العتاهية وأنا في الديوان ، فجلس إلي ، فقلت :
يا أبا إسحاق ! أما يصعب عليك شيء من الألفاظ ، فمحتاج فيه

إلى استعمال الغريب ؛ كما يحتاج إليه سائر من يقول الشعر ، أو إلى
الفاظ مُستكرهه ، قال لا ، فقلت له : إني لأحسبُ ذلك من
كثرة ركوبك القوافي السهلة ؛ قال : فأعرضُ على ما شئت من
القوافي الصعبة ، فقلت : قل أيماناً على مثل البلاغ ، فقال من
ساعته :

أى عيش يكون أبلغ من عيم
ش كفاف قوت بقدر البلاغ
صاحب البغي ليس يسلم منه
وعلى نفسه بغي كل باغ
ربّ ذى نعمة تعرض منها
حائل يلبسه وبين المساع
أبلغ الدهر في مواعظه بل
زاد فيهنّ لى على الابلاغ
غيبتنى الأيام عقلى ومالى
وشبابى وصحتى وفراغى

على أن أبا العتاهية كان مع هذا إذ أراد تفخيم لفظه ومعناه قدرته على
لم يُقصر به ذلك عن غيره ، ومضى فيه كأنه من أولئك الشعراء تفخيمه
الجاهليين أو المخضرمين أو الاسلاميين ، قال مسعود بن بشر

للمازني: لقيت ابن مناذر بمكة، فقلت له: من أشعر أهل الإسلام؟

فقال: أترى من إذا شئت هزل، وإذا شئت جد؟ قلت من؟

قال: مثل جرير حين يقول في النسب:

إن الذين غدوا بلبك غادروا

وتلأ بعينك ما يزال معينا

غيض من عبراتهم وقلن لي

ماذا لقيت من الهوى ولقينا

ثم قال حين جد:

إن الذي حرم المكارم تغلباً

جعل النبوة^{شهادة} والخلافة فينا

مضر أبي وأبو الملوك فهل لكم

يا آل تغلب من أب كائنا

هذا ابن عمي في دمشق خليفة

لو شئت ساقكم إلى قطينا

ومن المحدثين هذا الخبيث الذي يتناول الشعر من كمة،

فقلت من؟ قال أبو العتاهية، قلت فيماذا؟ قال قوله:

الله يبي وبين مولاتي أبدت لي الصدد والمالات

لا تغفر الذنب إن أسأت ولا تقبل عذري ولا مؤاتاتي

منحتها مهجتي وخالصتي فكان هجرانها مكافئي
أقلقي حبها وصبري ألدوثي في جميع جاراتي
ثم قال حين جد:

ومهمة قد قطعت طامسه قفر على الهول والحمامة
بحرة جصرة عذافة خوصاء عيرانة علددة
تبادر الشمس كلما طلعت بالسير تبغى بذاك مرضاتي
ياناق خبي بنا ولا تعدى نفسك مما ترين راحت
حتى تنأخى بنا إلى ملك توجه الله بالمهابات
عليه تاجان فوق مفرقه تاج جلال وتاج إخبات
يقول للريح كلما عصفت هل لك يارب في مباراتي
من مثل من عمه الرسول ومن أخواله أكرم الخؤولات

ويوجد كثير غير ابن مناذر يشاركه هذا الرأي في أبي العتاهية،
ومن ذلك الكثير بشار بن برد، وقد سئل من أشعر أهل
زمانه؟ فقال: نخت أهل بغداد، يعني أبا العتاهية

وممنهم القراء وجعفر بن يحيى وأبو نواس، وقد ذكرنا رأي
أبي نواس فيه أول هذا الفصل، وتفضيله له على نفسه، وقال
الخرمزي في الموازنة بينهما: شهدت أبا العتاهية وأبا نواس
في مجلس، فكان أبو العتاهية أمرع الرجلين جواباً عند البديهة،
موازنة بينه وبين أبي نواس

وكان أبو نواس أسرعهما في قول الشعر ، فإذا تَعَاطَيَا جميعاً السرعة
فَضَّلَهُ أبو العتاهية ، وإذا تَوَقَّفَا وَتَمَهَّلَا فَضَّلَهُ أبو نواس ، ويرجع
مدا عندى إلى أن أبا العتاهية كان من الشعراء المطبوعين ، أما
أبو نواس فقد درس من علوم اللغة وغيرها ما لم يُتَسَخَّرْ مثله لأبى
العتاهية ، فكان أبو العتاهية في السرعة يُفْضَلُ أبو نواس
بطبيعته ، وكان أبو نواس في التَّمَهُّلِ يُفْضَلُ أبا العتاهية بدراسته
وسعة علمه

رأيه في شعره

أما رأى أبى العتاهية نفسه في شعره فقد اضطربت الرواية
فيه ، وقد سبق له مع سلم الخاسر ما يفيد أنه كان معتزاً بشعره ،
وسبق أيضاً أنه كان يبلغ من اعتداده بنفسه أن يقول إنه أكبر
من العَرُوض ، ولكن أبا الفرج الأصبهاني روى عن ابن أبى
الأيض أنه قال : أتيت أبا العتاهية فقلت له : إني رجل أقول
الشعر في الزهد ، ولِي فيه أشعار كثيرة ، وهو مذهب أستحسنه ،
لأنى أرجو ألا آثم فيه ، وسمعت شعرك في هذا المعنى ، فأحببت
أن استزيد منه ، فأجاب أن تنشدني من جيد ما قلت ، فقال : اعلم أن
ما قلته ردى ، قلت وكيف ؟ قال : لأن الشعر ينبغي أن يكون
مثل أشعار الفحول المتقدمين ، أو مثل شعر بشار وابن هريرة ،
فإن لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون ألفاظه مما لا تخفى على

جمهور الناس مثل شعري ، ولا سيما الأشعار التي في الزهد ، فان
الزهد ليس من مذاهب الملوك ، ولا من مذاهب رؤاة الشعر ،
ولا طُلَّابِ الغريب ، وهو مذهب أشغف الناس به ، الزُّهَّادُ
وأصحاب الحديث والفقهاء وأصحاب الرِّياء والعامَّة ، وأعجب
الأمِّياء ما فهموه ، فقلت صدقت ، ثم أنشدني قصيدته :

لِدُوا لِلْمَوْتِ وابنوا للخراب فكلِّم بصير إلى تَبَابِ
أَيَا مَوْتٍ لَمْ أَرِ مِنْكَ بُدًّا أَتَيْتَ وَمَا تُحْيِفُ وَمَا تُحْبِي
كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَى مَشِيبي كَمَا هَجَمَ الْمَشِيبُ عَلَى شِبَابِي
قال : فصرت إلى أَبِي نُوَّاسٍ فَأَعْلَمْتُهُ مَا دَارَ بَيْنَنَا ، فَقَالَ :
وَاللَّهِ مَا أَحْسَبُ فِي شِعْرِهِ مِثْلَ مَا أَنْشَدَكَ بَيْتًا آخَرَ ، فَصُرْتُ
إِلَيْهِ فَأَخْبَرْتَهُ بِقَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ ، فَأَنْشَدَنِي قَصِيدَتَهُ الَّتِي
يَقُولُ فِيهَا :

طُولُ التَّعَاشُرِ بَيْنَ النَّاسِ مَمْلُوكُ
مَا لَبِنَ آدَمَ إِنْ قَتَشْتَ مَعْقُولُ
يَارَاعِي الشَّاءَ لَا تُغْفِلْ رَعَايَتَهَا
فَأَنْتَ عَنْ كُلِّ مَا اسْتَرَعَيْتَ مَسْئُولُ
إِنِّي لَنِي مَنْزِلَ مَا زَلَتْ أَعْمُرُهُ
عَلَى يَتِيمَيْنِ بَأْنَى عَنْهُ مَعْقُولُ

وليس من موضع يأتيه ذو نفس
إلا وللموت سيف فيه مسلول
لم يشغل الموت عنا مذ أعد لنا
وكلنا عنه بالذات مشغول
ومن يمت فهو مقطوع ومجتنب
والحي ما عاش مغشي وموصول
كل ما بدا لك فالأكل فانية
وكل ذي أكل لا بد ما كول

قال : ثم أنشدني عدة قصائد ما هي بدون هذه ، فصرت
إلى أبي نواس فأخبرته ، فتغير لونه ، وقال : لم أخبرته بما قلت ؟ قد
والله أجاد ، ولم يقل فيه سوءا .

ورأى في هذه الرواية أنها مضطربة لا يصح الأخذ بها ،
وأن آخرها ينقض أولها ، فهل يصح أن يشهد أبو العتاهية بأن
شعره ردى لا يعتد به ، ثم يعود فيعتد بتلك القصائد التي أنشدها
لابن أبي الأبيض ، ويغضب حينما يباغى عن أبي نواس قوله (ما
أحسب في شعره مثل ما أنشدك بيتاً آخر) وهل يصح أن يخفى
على أبي نواس شعر أبي العتاهية حتى ينكر أن فيه بيتاً آخر في
جودة ما أنشده ، ثم يعود فيعترف بجودة ما أنشده من تلك

القصاصد ، لا بجودة بيت واحد ، وهل يتفق هذا مع ما ذكرناه
في أول هذا الفصل من اعتراف أبي نواس بفضل أبي العتاهية
عليه ؟ اللهم لا

والحق أن أبا العتاهية كان مُعْتَرِّاً بشعره مُعْتَدّاً به ، ولم
يكن يرى أنه شعر رديء كما يزعم ابن أبي الأبيض ، فإن من
يرى في شعره هذا الرأي لا يمكن أن يقارع به خصومه عند الملوك
والعظماء كما فعل أبو العتاهية ، وقد ذكرنا في ترجمته كيف كان
يقارع به أولئك الخصوم ، وكيف كان ينال به من صلات الملوك ما
كان يشير عليه حسدهم ، ولو كان يراه شعرا رديثا لقمع به في بيته ،
ولم ينهض إلى مُقَارَعَةِ أحد به .

فنونه الشعرية

تصرفه فيها كان أبو العتاهية قبل أن يقصر نفسه على الزهد يقول الشعر
 قبل زهده في كل فنونه ، من غزل ومديح ورثاء وهجاء وعتاب واستعطاف
 وغير ذلك مما كان يتناوله الشعراء في عصره ، فلما قصر نفسه على
 ذلك صرف شعره كله في الزهد والوعظ والحكمة والمثل ، فأعطى
 الشعر العربي من ذلك ثروة عظيمة كان في أشد الحاجة إليها .

الغزل :

غزله يذهب أبو العتاهية في غزله مذهب الشعراء العشاق ، مثل
 وخصائصه جميل والمجنون وغيرهما ، وإن كنا قد ذكرنا في ترجمته أنه لم
 يكن صادق الحب مثلهم ، ولكن سجيته التي كانت تنازعه من
 أول أمره إلى قول الزهد ، لم تسكن لترضى أن تذهب في الغزل
 مذهب الشعراء الفساق ، مثل امرئ القيس وعمر بن أبي ربيعة
 وأبي نؤاس وغيرهم ، وقد جاء غزله من أجل ذلك عفيفا بعيدا
 عن الفحش والفجور ، ليس فيه إلا شكوى الصبابة ، وألم الصّدِّ ،
 وعذاب الفراق ، ونحو ذلك من وجدانات أهل العشق ، وقد

ذكرنا في ترجمته كيف كان المهدي والرشيد يقهرانه على القول في الغزل إذا تركه ، وهذا بينما كانا يفعلان مع بشار وأبي نواس وغيرهما ما يفعلان من أجل فجورهم وفحشهم في الغزل ، ومن ذلك غزل أبي نواس في الغلمان ، فقد أفحش فيه جدا ، واستباح فيه ذكر ما لا يبيحه شرع ولا ذوق ولا مروءة ، ولم يفعل ذلك أبو نواس وحده ، بل كان شعراء ذلك العصر فيه سواء ، أما أبو العتاهية فصان نفسه عنه ، ولم يدنس شعره بذلك الغزل المقوت .

وقد قصر أبو العتاهية غزله على عتبة التي تعلق بها حينما انتقل مختارات منه من السكوفة إلى بغداد ، وظهر أمامها بظهر الحب الصادق ، فكان كل غزله فيها ، كما كان كل غزل جميل في بُشَيْنَةَ ، وكل غزل المجنون في ليلي ، وكل غزل كُثَيِّرٍ في عَزَّةَ ، وكان شأنه في هذا شأن كل الشعراء العشاق سواء بسواء .

ولا يقصر غزل أبي العتاهية في جودته عن غزل أولئك الشعراء ، وقد شهد له بذلك مسلم بن الوليد ، وكان من الشعراء المجودين الآخذين في الشعر بتقاليد الأقدمين ، ويخالف أبا العتاهية وأضرابه ممن خرج في شعره على تلك التقاليد ، فذكر أبو الفرج الأصبهاني أن مسلما قال : كنت مستخفا بشعر أبي العتاهية ،

فلقيني يوماً فسألني أن أصير إليه ، فجاءني بلون واحد فأكلنا ،
وأحضرني تمرأ فأكلناه ، وجلسنا نتحدث ، وأنشدته أشعارا لي في
الغزل ، وسألته أن ينشدني ، فأنشدني قوله :

يا لله يا قرّة العينين زوريني
قبل المات وإلا فاستزيري
إني لأعجب من حبِّ يقربني
ثم يباعدني منه ويعصيني
أما الكثير فما أرجوه منك ولو
أطمعني في قليل كان يكفيني

ثم أنشدني أيضا :

أخلاق بي شجو وليس بكم شجو
وكل امرئ عن شجو صاحبه خلو
وما من ° محب نال ممن يحبه
هوئى صادقا إلا سيدخله زهو
بليت ° وكان المزح بدء بليتي
فأحببت ° حقاً والبلاء له بدو
وعلقت ° من يزهو على ° تحبرا
وإني في كل الخصال له كفو

رَأَيْتُ الْهَوَى جَرَّ الْعَصَا غَيْرَ أَنَّهُ
عَلَى كُلِّ حَالٍ عِنْدَ صَاحِبِهِ حَالُ
ثُمَّ أَنَشَدَنِي :

خَلِيلِيَّ مَالِي لَا تَزَالُ مَضْرَبِي
تَكُونُ مَعَ الْأَقْدَارِ حَتْمًا مِنَ الْحَتْمِ
يَصَابُ قَوَادِي حِينَ أُرْمَى وَرَمِيَّتِي
تَعُودُ إِلَى نَحْوِي وَيَسْلُمُ مِنْ أَرْحِي
صَبْرْتُ وَلَا وَاللَّهِ مَا بِي جَلَادَةٌ
عَلَى الصَّبْرِ لَكِنِّي صَبْرْتُ عَلَى رَغْمِي
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَسَمِي وَقُوَّتِي
أَلَا مُسْعِدٌ حَتَّى أَنْوَحَ عَلَى جَسَمِي
تَعُدُّ عِظَامِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ
يَمْحُجُّ مِنَ الْعُدَّالِ عِظَامِي عَلَى عِظَامِ
كَفَاكَ بِحَقِّ اللَّهِ مَا قَدْ ظَلَمْتَنِي
فَهَذَا مَقَامُ الْمُسْتَجِيرِ مِنَ الظُّلْمِ

قال مسلم فقلت له : لا والله يا أبا إسحاق ، ما يبالي من
أحسن أن يقول مثل هذا الشعر ما فاته من الدنيا ، فقال : يا ابن

أخى ، لا تقولان مثل هذا ، فإن الشعر أيضا من بعض مصائد الدنيا .

وإني أرى في قوله :

بُلِّيتُ وكان المرح بدء بلمتي

فأحببتُ حَقًّا والبلاءُ له بدوُ

ما يؤيد رأيي سابقا في أن حبه من أوله إلى آخره لم يكن يعدو حدَّ

المرح ^(١) ولهذا احتاج إلى أن يقول (فأحببت حقا) لينفي عن نفسه الريبة التي كانت تقوم بنفس عتبة في حبه .

المدح :

مدحة

وكان مدح أبي العتاهية كغزله لا يقوله عن داع صحيح ،

وخصائصه

أو ينطق فيه عن يقين وعقيدة ، وإنما كان كان مديحا تجاريا يراد

منه الوصول إلى المال ، وهذا لأنه كان يمدح به العباسيين ، وقد

ذكرنا أن هواه لم يكن معهم ^(٢) وإنما كان مع أبناء علي رضي الله

عنه ، وإن لم يكن يرى الخروج عليهم ، وكانت الشيعة تبيع أخذ

المال من الممتلك ، لأنه في نظرهم حق لهم ، فجرى أبو العتاهية في

ذلك على هذا المذهب ، ومدح العباسيين بقدر ما يصل به إلى ذلك

الغرض ، ولم يدخل به في الخصومة السياسية التي كانت قائمة في

(١) أنظر ص ٣٣ (٢) أنظر ص ٧٨

عصره بين العباسيين والعلويين ، وذهب فيها كثير من الشعراء
 مذاهب باطلة ، ودفعهم مال بنى العباس إلى أن يجملوا حقهم في
 الملك بالارث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، لا يشاركم فيه
 العلويون ، ولا غيرهم من المسلمين ، لأن جدم العباس كان عم
 النبي صلى الله عليه وسلم ، أما علي فكان ابن عمه أبي طالب ،
 وكان أبناؤه أولاد فاطمة رضى الله عنها ، وابن العم وأولاد البنات
 لا يرثون مع العم شيئا ، وفي هذا المعنى يقول بعض شعراء
 ذلك العصر :

أنى يكون وليس ذاك بكائن

لبنى البنات ورأثة الأعمام

وقد فرح العباسيون بهذه الفكرة الخاطئة غاية الفرح ،
 وعدوها نصرا كبيرا لهم على العلويين ، فأغدقوا العطاء على
 الشعراء الذين تناولوها في شعرهم ، ولا سيما ذلك الشاعر الذى
 ابتكرها لهم ، وغاية ما قاله أبو العتاهية فى مدحهم ذلك البيت
 الذى ذكرناه فى ترجمته ، وهو من أربعة أبيات قالها فى مدح
 هارون الرشيد :

وحقيق أن يدان له من أبوه للنبي أب (١)

(١) انظر ص ٦٩

وليس في هذا ما يمنع العلويين من حقهم في الملك ، ولا ما يتناقى
 مع عقيدته في التشيع لهم ، لأنه لم يكن يرى الخروج على
 السلطان القائم

وقد ساعدت أبا العتاهية سجيته المواتية له في الشعر ،
 فبلغ في مدح العباسيين مع مخالفته لهم في عقيدته ، ما لم يبلغه من
 كان موافقاً لهم فيها ، و كان يمدحهم عن إخلاص وعقيدة ، مثل
 مروان بن أبي حفصة وغيره ، بل كان يفضلهم في العطاء ، ويغال
 منه أكثر مما كانوا ينالون ، قال العتبي : روى مروان بن أبي
 حفصة واقفاً بباب لجر كشيماً آسفاً ، ينكت بسوطه في معرفة دابته ،
 فقبل له : يا أبا السمط ، ما الذي نراه بك ؟ قال : أخبركم بالعجب ،
 مدحت أمير المؤمنين ، فوصفت له ناقتي من خطامها إلى خفيها ،
 ووصفت الفيافي من اليمامة ^(١) إلى باب أرض أرضا ، ورملة
 ورملة ، حتى إذا أشفيت منه على غناء الدهر ، جاء ابن ببيعة
 النخاخير - يعني أبا العتاهية - فأنشده بيتين ، فضع بهما شعري ،
 وسواه في الجائزة بي ، فقبل وما البيتان ؟ فأنشد :

إن المطايا تشتكيك لأنها تطوى اليك سباً وسباً ورمالاً

(١) وكان مروان من أهلها

فَإِذَا رَحَلْنَ بَنَى رَحْلَيْنِ مُخَفَّئَةً وَإِذَا رَجَعْنَ بَنَى رَجْعَيْنِ ثِقَالًا
وكان أبو العتاهية لا يعنى في المدح كما ذكرنا في ترجمته بمثل
ما عني به مروان ابن أبي حفصة من النسيب ونحوه ، بل كان
يقتصر فيه على أقل ما يمكن ، ثم يمضى في المدح المقصود من الشعر ،
وكان هذا يعجب من مدحه ، ويفضله به على غيره من الشعراء

وكان من علماء الأدب من يرمى أبا العتاهية بضعف الشعر
في المدح ونحوه خلا الزهد ، وكان ابن الأعرابي يتعصب له في كل
شعره ، ويفضله على سائر الشعراء ، فتنبه رجل أمامه ، ورمى
شعره بالضعف ، فقال له : الضعيف والله عتلك لا شعر أبى
العتاهية ، الأبى العتاهية تقول إنه ضعيف الشعر ؟ فوالله ما رأيت
شاعرا قط أطبع ولا أقدر على بيت منه ، وما أحسب مذهبه إلا
ضربا من السخر ، ثم أنشده قصيدته في الزهد :

قَطَّعْتُ مِنْكَ حَبَائِلَ الْأَمَالِ
وَحَطَّطْتُ عَنْ ظَهْرِ الْمَطْلَى رَحَالِي (١)

ثم قال للرجل هل تعرف أحدا يحسن أن يقول مثل هذا
الشعر ؟ فقال الرجل : يا أبا عبد الله - جعلني الله فداءك - إني لم

(١) سند كرهذه القصيدة فيما نختاره من شعره في الزهد والحكمة

أَرَدُّدُ عَلَيْكَ مَا قُلْتُ ، وَلَكِنْ الزَّهْدُ مَذْهَبُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ ، وَشَعْرُهُ
فِي الْمَدِيحِ لَيْسَ كَشَعْرِهِ فِي الزَّهْدِ ، فَقَالَ : أَفَلَيْسَ الَّذِي يَقُولُ
فِي الْمَدِيحِ :

وَهَارُونَ مَاءُ الْمَزْنِ يُشْفَى بِهِ الصَّدَى
إِذَا مَا الصَّدَى بِالرِّيقِ غُصَّتْ حَنَاجِرُهُ
وَأَوْسَطُ بَيْتٍ فِي قَرِيشٍ لَبِيبَتُهُ
وَأَوَّلُ عِزٍّ فِي قَرِيشٍ وَآخِرُهُ
وَزَحْفٌ لَهُ تَحْكِي الْبُرُوقِ سَمِوْفُهُ
وَتَحْكِي الرُّعُودَ الْقَاصِفَاتِ حَوَافِرُهُ

إِذَا حَمَيْتَ شَمْسَ النَّهَارِ تَضَاحَكْتَ
إِلَى الشَّمْسِ فِيهِ بَيْضُهُ وَمَغَافِرُهُ
إِذَا نَسَبَ الْإِسْلَامُ يَوْمًا بَنِيكَبَةَ

فَهَارُونَ مِنْ بَيْنِ الْبَرِيَّةِ نَاطِرُهُ
وَمِنْ ذَائِفَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَوْتِ مُدْرِكُهُ

كَذَا لَمْ يَفُتْ هَارُونَ ضِدَّ يُنَافِرُهُ

قَالَ : فَتَخَلَّصَ الرَّجُلُ مِنْ شَرَابِنِ الْأَعْرَابِيِّ بِأَنْ قَالَ لَهُ :
الْقَوْلُ مَا قُلْتَ ، وَمَا كُنْتُ سَمِعْتُ لَهُ مِثْلَ هَذَيْنِ الشَّعْرَيْنِ ،
وَكُتِبَ لَهَا عَنْهُ :

و كان مدح أبي العتاهية للعباسيين مدح الشاعر الذي يعرف
 لنفسه منزلتها ، ولا يحمله حب المال على أن يتهاون في كرامتها ، بل
 كان يغضب لنفسه إذا رأى منهم شيئا من الإهانة ، أو أظهروا له
 شيئا من الأعراض ، ولا يهمه ما لهم ولا غيره مما عندهم ، وله في
 ذلك حوادث كثيرة ، منها ما ذكره أبو الفرج الأصبهاني قال :
 كان أبو العتاهية منتظما إلى صالح المستكين ، وهو ابن أبي جعفر
 المنصور ، فأصاب في ناحيته مائة ألف درهم ، وكان له ودودا
 وصديقا ، فجاء يوما وكان له في مجلسه مرتبة لا يجلس فيها غيره ،
 فنظر إليه قد قصرَ به عنها ، وعاوده ثانية فكانت حاله تلك ، ورأى
 نظره إليه ثقيلًا ، فنهض فقال :

أراني صالحٌ بغضًا	فأظهرت له بغضًا
ولا والله لا ينقُ	ض إلا زدته نقضا
وإلا زدته مقتا	وإلا زدته رفضا
ألا يا مفسد الود	وقد كان له محضا
تغضبت من الريح	فما أطلب أن ترضى
لئن كان لك المال أ	مصقَى إن لي عرضا

فَنَمِيَ السَّكَّامُ إِلَى صَالِحٍ ، فَنَادَى بَعْدَاوَتَهُ ، فَقَالَ فِيهِ :

مددت لمعرضٍ حبلاً طويلاً كأطول ما يكون من الحبال
 حبال بالصريمة ليس تنفى موصلةً على عدد الرمال
 فلا تنظر إلى ولا تردنى ولا تقرب حبالك من حبالى
 فليت الرّدم من يأجوج يبنى وبينك مثبّتا أخرى الليلى
 فكّرْش إن أردت لنا كلاماً وتقطع قحف رأسك بالقتال
 وذكر أبو الفرج أيضاً أن أبا العتاهية قدم يوماً منزل يحيى بن
 خاقان ، فلما قام بادر له الحاجب فأنصرف ، وأتاه يوماً آخر فصادفه
 حين نزل فسلم عليه ، ودخل إلى منزله ، ولم يأذن له ، فأخذ
 قرطاساً وكتب إليه :

أراك تُراعُ حين ترى خيالى فما هذا يرُوعُك من خيالى
 لهلك خائف مى سؤالى ألا فلك الأمان من السؤال
 كفيّتك إن حالك لم تملّ بي لأطلب مثلاً بدلاً بحالى
 وإن اليسر مثل العسر عندى بأيهما مُنيتُ فلا أبالى

الرثاء :

انفرد أبو العتاهية فى الرثاء من بين شعراء عصره بأنه كان
 يذهب فيه مذهبه فى الزهد والحكمة ، لقرب مقام الرثاء من مقامهما ،
 وكان يستعين فيه أحياناً بما نقل من الحكمة اليونانية وغيرها إلى العربية ،

رثاؤه

وخصائصه

ومن ذلك رثاؤه في علي بن ثابت ، وكان صديقا له ، مختارات منه
وبينها مجاوبات كثيرة في الزهد والحكمة ، فحضره أبو العتاهية
وهو يجود بنفسه ، فلم يزل ملتزمه حتى فاض ، فلما شدَّ لحياه بكي
طويلا ، ثم أنشد يقول :

يا شريك في الخير قرَّيكَ الا

٤ فنعيم الشريك في الخير كننا

قد أمري حكيته لي غصص المو

ت فحركتني لها وسكننا

ولما دفن وقف على قبره يبكي طويلا أحرا بكاء ، ويردد

هذه الأبيات :

ألا من لي بأنسك يا أخيا

ومن لي أن أبشك ما لديا

طوتك خطوب دهرك بعد نشر

كذاك خطوبه نشرأ وطيا

فلو نشرت فواك لي المنايا

شكوت إليك ما صنعت إلينا

بكيمتك يا علي بدمع عيني

فما أغنى البكاء عليك شيئا

وكانت في حياتك لى عطات

فأنت اليوم أوعظ منك حياً

وهذه المعاني كما قال أبو الفرج الأصبهاني مأخوذة كلها من
كلام الفلاسفة اليونانيين لما حضروا الاسكندر ، وقد أخرج
ليدغن ، فقال بعضهم : كان الملك أمس أهيب منه اليوم ، وهو
اليوم أوعظ منه أمس . وقال آخر : سكنت حركة الملك في لذاته ،
وقد حركنا اليوم في سكونه جزعا لفقده . وهذان المعنيان هما
الذاتان ذكرهما أبو العتاهية في هذه الأشعار .

ومن رثاء أبي العتاهية ما قاله في بنت ماتت للمهدى ، فحزن
عليها حزنا شديدا ، حتى امتنع عن الطعام والشراب ، فقال
أبو العتاهية أبياتا يعزيه بها ، فوافاه بها وقد سلا وضحك وأكل ،
وهو يقول : لا بد من الصبر على مالا بد منه ، ولئن سلونا عما فقدنا ،
ليسألونا عما من يفقدنا ، وما يأتى الليل والنهار على شيء إلا أبلياه ،
فامتأذنه أبو العتاهية في إنشاد ما قال ، فأذن له ، فقال :

ما لاجديد يدين لا يبلى اختلافهما

وكل غصٍّ جديد فيهما بالـ

يامن سلا عن حبيب بعد ميته

كم بعد موتك أيضا عنك من سالـ

كَانَ كُلُّ نَعِيمٍ أَنْتَ ذَائِقُهُ
مِنْ لَذَّةِ الْعَيْشِ يَحْكِي لَمَعَةَ الْآلِ
لَا تَلْعَبَنَّ بِكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَرَى
مَا شَتَّتَ مِنْ عِبَرٍ فِيهَا وَأَمْثَالِ
مَا حِيلَةُ الْمَوْتِ إِلَّا كُلُّ صَالِحَةٍ
أَوْ لَا فَمَا حِيلَةُ فِيهِ لِحْتَالِ

الهجاء :

كان أبو العتاهية وهو بالكوفة يعاشر خلعاها ومُجَانَهَا لَا هِجَاؤُهُ
يتورع عن الهجاء ، ولا تعاف نفسه الاقذاع فيه ، فلما انتقل إلى وَخْصَانَتُهُ
بغداد واتصل بملوكها وعظماؤها عافت نفسه الهجاء ، وتورع عنه قبل
أَنْ يتورع عن الغزل ونحوه ، مما تورع عنه بعد زهده ، فلم يقله إِلَّا
وهو مضطر إليه ، ولم يكن مثل هجائه بالكوفة في الاقذاع والفحش
وقد جرت له مُهَاجَاةٌ مَعَ الْوَالِيَةِ بْنِ الْحُبَابِ بِيغْدَادَ ، وَكَانَ الْوَالِيَةُ هِجَاؤُهُ بِيغْدَادَ
هو الباديء فيها ، ولم يَهْجُهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ طَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ
يَكُفَّ عَنْ هِجَائِهِ فَأَبَى ، وَذَلِكَ أَنَّ الْوَالِيَةَ قَصِدَ بَغْدَادَ مِنَ الْكُوفَةِ
بَعْدَ أَنْ قَصِدَهَا أَبُو الْعَتَاهِيَةِ مِنْهَا ، فَلَمْ يَبْلُغْ أَمْرُهُ فِيهَا مَا بَلَغَ أَمْرُ أَبِي
الْعَتَاهِيَةِ ، فَخَسِدَهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَخَذَ يَهْجُوهُ وَيَذِمُّهُ فِي شِعْرِهِ ، وَقَدْ حَدَّثَ

محمد بن عمر الجُرْجَانِيُّ قَالَ : رَأَيْتُ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ جَاءَ إِلَى أَبِي فَقَالَ
لَهُ : إِنَّ وَالْبَةَ بْنَ الْحَبَابِ قَدْ هَجَانِي ، وَمَنْ أَنَا مِنْهُ ؟ أَنَا جَرَّارٌ
مُسْكِينٌ ، وَجَعَلَ يَرْفَعُ مِنْ وَالْبَةِ وَيَضَعُ مِنْ نَفْسِهِ ، فَأَحْبَبَ أَنْ تَكَلِمَهُ
أَنْ يُمْسِكَ عَنِّي ، فَكَلَّمَ أَبِي وَالْبَةَ فَلَمْ يَقْبَلْ ، وَجَعَلَ يَشْتُمُ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ ،
فَفَرَّكَهُ ، ثُمَّ جَاءَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَسَأَلَهُ عَمَّا فَعَلَ فِي حَاجَتِهِ ، فَأَخْبَرَهُ عَمَّا
رَدَّ عَلَيْهِ وَالْبَةَ ، فَقَالَ لِأَبِي : لِيَ الْآنَ عَلَيْكَ حَاجَةٌ ، قَالَ وَمَا هِيَ ؟
قَالَ : لَا تَسْكُمْنِي فِي أَمْرِهِ ، فَقَالَ : هَذَا أَوَّلُ مَا يَجِبُ لَكَ ، فَقَالَ
أَبُو الْعَتَاهِيَةِ يَهْجُوهُ :

أَوَالْبُ أَنْتَ فِي الْعَرَبِ	كَتَلَ الشَّيْخُ فِي الرُّطَبِ
هَلُمَّ إِلَى الْمَوَالِي الصِّبِ	دِ فِي سَعَةٍ وَفِي رَحَبِ
فَأَنْتَ بِنَا لَعَمْرُ اللَّهِ	هَ أَشْبَهَ مِنْكَ بِالْعَرَبِ (١)
غَضِبْتُ عَلَيْكَ ثُمَّ رَأَيْتُ	تُ وَجْهَكَ فَأَنْجَلَنِي غَضَبِي
لِمَا ذَكَرْتَنِي مِنْ لَوْ	نِ أَجْدَادِي وَلَوْ أَنَّ أَبِي
فَقُلْ مَا شِئْتَ أَقْبَلُهُ	وَإِنْ أَطْنَبْتَ فِي الْكَذْبِ

(١) هذا البيت قاطع في أن أبا العتاهية من الموالى لا من العرب ، وقد ذكرنا في ترجمته أن بنيه كانوا ينفقون ذلك ،
ويزعمون أنهم من عنزة

فقد أُخْبِرْتُ عَنْكَ وَعَنْ أَمِيكَ الْخَالِصِ الْعَرَبِ
 قُتِلَ الْعَارِفُونَ بِهِ مُصَاصٌ غَيْرُ مُؤْتَشِبِ
 أَنَا مِنْ بِلَادِ الرُّومِ مُسْتَحْجِرًا عَلَى قَتْلِ
 خَفِيفِ الْحَاذِ كَالصَّمَا مِاطَلَسَ غَيْرَ ذِي تَشَبِ
 أَوَّالٍ مَا دَهَكَ وَأَنْتَ تَفِي الْأَعْرَابِ ذُو نَسَبِ
 أَرَاكَ وَلَدْتَ بِالْعَرَبِ نَحْرَ يَا ابْنَ سِبَاكِ الذَّهَبِ
 فَجِئْتَ أَقْيَشَرَ الْخَدَى نِازِرًا عِلْمَ الدَّيْبِ
 نَقَدَ أَخْطَأْتَ فِي شَتْمِي فَخَبَّرْنِي أَلَمْ أَصِيبِ

وقال فيه أيضا غير ذلك ، فبلغ والبة ، فجاء أبي فقال : قد كلمني
 في أبي المتاهية ، وقد رغبت في الصلح ، فأخبره بما أخذه أبو
 المتاهية عليه ، فقال له والبة فما الرأي عندك ؟ قال تنحدر إلى الكوفة ،
 فركب زورقا ، ومضى من بغداد إلى الكوفة

فهذا مقدار ما بلغه هجاء أبي المتاهية في والبة ، وهو مع هذا
 هجاء معتدل لا فحش فيه ، ولكنه هجاء مؤلم مؤرجع ، أما هجاء
 والبة فكان ضميها سخيفا لا يقوى على هذا الهجاء ، وكان مع هذا
 بالغا في الفحش والقبح ، وهذا مثال منه :

قُلْ لَابْنِ بَاثَةِ الْقِصَارِ وَابْنِ الدَّوَارِقِ وَالْجِرَارِ

تهوى عُتَيْبَةَ ظَاهِرًا وهواك في إِبْرَ الحِمَارِ
تهجو مواليك الأَلَى فَسُكُوكَ مِنْ ذُلِّ الأَسَارِ
وإن الشعر لأعلى مقاما من هذا القبح الذي أتى به فيه، وإنه
ليُنال به من نفسه قبل أن ينال ممن يهجوّه

هجاؤه بالكوفة

وقد هجا أبو المتاهية بالكوفة عبد الله بن معن بن زائدة الشيباني،
فكان هجاء فاحشا مقذعا، يلائم حاله في تلك البيئة التي كان
يعاشرها بالكوفة، وكان سبب هجائه له فيما حدث به أبو سويد
عبد القوى بن محمد بن أبي المتاهية أنه كان في حديثه يهوى امرأة
ناجحة من أهل الخيرة لها حسن وجمال، يقال لها سعدى، وكان
عبد الله بن معن يهواها أيضا، وكانت مولاة لهم، فتهدد عبد الله أبا
المتاهية ونهاه أن يعرض لها، فكان هذا سببا في هجائه له، وقد
سلك فيه أبو المتاهية مذهبا غريبا جمل فيه عبد الله بن معن
امرأة، وسلبه صفة الرجولة، وبنى على ذلك في هجائه ما بنى، من
فحش القول، وقبيح الوصف، حتى ضج منه بنو معن، فذهبوا إلى
منديل وحيان ابني علي العنزيين الفقيهين، وكانا من سادات
الكوفة، فقالوا لها: نحن بيت واحد وأهل، ولا فرق بيننا، وقد
أتانا من مولاكم هذا ما لو أتانا من بعيد الولاء لوجب أن تردعاه،
فأحضرا أبا المتاهية فلم يكن يمكنه الخلاف عليهما، فأصاحبا بينهما

و بين عبد الله ويزيد ابني معن ، وضمنا عنه خلوص النية، وعنهما
ألا يشعاه بسوء، وكانا ممن لا يمكن خلافهما :
ومن هجائه فيه :

يا صاحِبِي رَحَلِي لا تُكْثِرَا
في شتم عبد الله من عدل
سبعان من خص ابن معن بما
أرى به من قلة العقل
قال ابن معن وجلا نفسه
على من الجلوة يا أهلي
أنا فتاة الحى من وائل
في الشرف الشامخ والنبل
ما في بني شيبان أهل الحجج
جارية واحدة مثل
ويلي وباللهي على أمرد
يلصق مني القرط بالحجل
صافحته يوما على خلوة
فقال دغ كفى وخذ رجلي

أختُ بني شيبان مرّتُ بها
مَشْوَطَةً كُورًا على بَسل
تُكْنَى أبا الفضل وبامن رأى
جاريةً تُكْنَى أبا الفضل
قد تَطَطَّ في وجهها نَقْطَةً
مَخَافَةَ المَينِ من الكُحْلِ
إن زَرَعْتُمُوهَا قالُ حُجَّابُهَا
نَحْنُ عَنْ الزُّوَارِ في شُغْلٍ
مَوْلَاتُنَا مَشْغُولَةٌ عِنْدَهَا
بَعْلٌ وَلَا إِذْنَ عَلَى البَعْلِ
يَا بِنْتَ مَعْنِ الخَيْرِ لَا تَجْهَلِي
وَأَيْنَ إِقْصَارُ عَنْ الجَهْلِ
أَتَجِدُ النَّاسَ وَأَنْتَ امْرُؤٌ
تَجِدُ فِي
مَا يَنْفَعِي النَّاسَ أَنْ يَنْسَبُوا
مَنْ كَانَ ذَا جُودٍ إِلَى البَخْلِ
يَسْقِلُ مَا يَمْتَسِعُ أَهْلُ النَّدَى
هَذَا الْعَمْرَى مُفْتَهَى البَذْلِ

ما قلتُ هذا فيك إلا وقد

جَمَعْتُ به الأَقلام من قبلي

وقد حدث أبو عكرمة أن الرشيد كان إذا رأى عبد الله بن
معن بن زائدة تمثل قول أبي العتاهية :

أختُ بني شيبانَ مَرَّتْ بنا

ممشوطةً كوراً على بغل

ومما قاله في هجائه بعد أن تهدده وتوعده في مولاه سعدى :

ألا قل لابنِ معنٍ ذا اللَّـذَى في الودِّ قد حَالَ

لقد بُلِّغْتُ ما قالَا فما باليتُ ما قالَا

ولو كان من الأسدِّ لما صال ولا هالا

فَصُغْ ما كنتَ حَلَّيْتُ به سيفك خلخالَا

وما تصنع بالسيف إذا لم تك قتالَا

ولو مدَّ إلى أُذُنِي هـ كَفِّيْهُ لما نالا

قصير الطول والطَّيِّبَةُ لا شَبَّ ولا طالَا

أرى قومك أبطالَا وقد أصبحتَ بَطالَا

وكان عبد الله بن معن يقول : ما لبست سيفي قط فرايت

إنسانا يلحقني إلا ظننت أنه يحفظ قول أبي العتاهية في ، فذلك

يَتَأَمِّلْنِي ، فَأُخْجَل ، يَعْنِي قَوْلَهُ (فَصَغَ مَا كُنْتُ حَلِيتُ : الْبَيْتَيْنِ)

وَقَدْ قَالَ فِي هِجَاءِ أَخِيهِ يَزِيدُ :

بَنَى مَعْنٌ وَبَهَّدَهُ يَزِيدُ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ
فَمَعْنٌ كَانَ لِلْحَسَادِ غَمًّا وَهَذَا قَدْ يُسَرُّ بِهِ الْحَسُودُ
يَزِيدُ يَزِيدُ فِي مَنَعٍ وَبُخْلِ وَيَنْقُصُ فِي الْمَطَاءِ وَلَا يَزِيدُ
وَلَمَّا اصْطَلَحَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ عَذْلَهُ أَنَاسٌ عَلَى مَا فَرَطَ

مِنْهُ ، وَلَامَهُ آخِرُونَ عَلَى صَاحِبِهِ مَعَهُ ، فَقَالَ :

مَا لَهْذَالِي وَمَالِي أُمُرُونِي بِالضَّلَالِ
عَذَلُونِي فِي اغْتِفَارِي لِابْنِ مَعْنٍ وَاحْتِمَالِ
إِنْ يَكُنْ مَا كَانَ مِنْهُ فَيَجْرُمَنِي وَفِعَالِي
أَنَا مِنْهُ كُنْتُ أَسْوَأَ عَشْرَةً فِي كُلِّ حَالِ
قُلْ لِمَنْ يَعْجَبُ مِنْ حَسَنِ رَجْوَعِي وَمَقَالِي
رُبَّ وَدٍّ بَعْدَ صَدِّ وَهَوًى بَعْدَ تَقَالِي
قَدْ رَأَيْتُنَا ذَا كَثِيرًا جَارِيًا بَيْنَ الرِّجَالِ
إِنَّمَا كَانَتْ عَيْنِي لَطَمْتُ مَنْنِي شِمَالِي

العتاب :

عتابه

يَغْلَبُ عَلَى أَصْلَابِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ فِي الْعِتَابِ مَا كَانَ يَغْلَبُ عَلَى

وخصائصه

طبعه من حب الحكمة والمثل ، فإذا غاب جعل عتابه حكمة وموعظة ،
وكان عتابه أشبه شيء بالنصيحة ، ومن ذلك عتابه لصالح
الشَّهْرَزُورِيَّ ، وكان بينهما صداقة ومودة ، فسأله أبو العتاهية أن
يكلم الفضل بن يحيى البرمكي في حاجة له ، فقال له صالح : لست
أكله في أشباه هذا ، ولكن حملني ما شئت في مالي ، فانصرف عنه
أبو العتاهية ، وأقام أياماً لا يأتيه ، ثم كتب إليه :

مختلرات منه

أقلِّ زيارتك الصديق ولا تطلِّ
إيمانه فتلجَّ في هجرانه
إن الصديق يلج في غشيانه
لصديقه فيملُّ من غشيانه
حتى تراه بعد طول مسرة
مكانه مُتبرِّماً مكانه
وأقلُّ ما يلقي الفقي ثقلًا على
إخوانه ما كفَّ عن إخوانه
وإذا توانى عن صيانة نفسه
رجلٌ تنقصُ ^{مورس} واستخفَّ بشأنه
فلما قرأ الأبيات قال : سبحان الله ! أنه جرنى لمنعى إياك شيئاً

تَعْلَمُ أَنِّي مَا ابْتَدَلْتُ نَفْسِي لَهُ قَطُّ ، وَتَنْسِي مَوَدَّتِي وَأُخُوَّتِي ، وَمِنْ
دُونِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَا أَوْجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَعْذِرَنِي . فَكُتِبَ إِلَيْهِ
أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

أَهْلُ التَّخَلُّقِ لَوْ يَدُومُ تَخَلُّقُ

لَسَكُنَتْ ظِلُّ جَنَاحٍ مِنْ يَتَخَلَّقُ

مَا النَّاسُ فِي الْأَمْسَاكِ إِلَّا وَاحِدٌ

فَبَأَيِّهِمْ إِنْ حَصَلُوا أَتَمَلَقُ

هَذَا زَمَانٌ قَدْ تَعَوَّدَ أَهْلُهُ

تِيَةَ الْمُلُوكِ وَفَعَلَ مِنْ يَتَصَدَّقُ

أَيُّ يَطْلُبُ الصَّدَقَةَ ، وَهَذَا كَمَا قَالَ فِي بَيْتٍ آخَرَ :

هَذَا زَمَانٌ أَلَحَّ النَّاسُ فِيهِ عَلَى

تِيَةِ الْمُلُوكِ وَأَخْلَاقُ الْمَسَاكِينِ

فَلَمَّا أَصْبَحَ صَالِحٌ غَدَا بِالْأَبْيَاتِ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى ، وَحَدَّثَهُ
بِالْحَدِيثِ ، فَقَالَ لَهُ : لَا وَاللَّهِ مَا عَلَى الْأَرْضِ أَبْغَضُ إِلَى مَنْ إِسْدَاءُ
عَارِفَةٍ إِلَى أَبِي الْعَتَاهِيَةِ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ مِمَّنْ يَظْهَرُ عَلَيْهِ أَثَرُ صَنِيعَةٍ ،
وَقَدْ قَضَيْتَ حَاجَتَهُ لَكَ . فَرَجَعَ صَالِحٌ إِلَى أَبِي الْعَتَاهِيَةِ بِقَضَاءِ حَاجَتِهِ ،
فَقَالَ يَشْكُرُهُ .

جزى الله عني صالحا بوفائه
وأضعف أضعافاً له في جزائه
بلوت رجالاً بعده في إخائهم
فما ازددت إلا رغبة في إخوانه
صديق إذا ما جئت أبقيه حاجة
رجعت بما أبقى ووجهي بمانه

ولم يكن أبو العتاهية كما قال الفضل بن يحيى ممن لا يظهر عليه
آثر الصنيعة ، ولكنه كان يعامل أولئك العظماء معاملة الند للند ،
ولا يعاملهم بما اعتادوه من أولئك الشعراء المستجدين من ضروب
التسلق والخضوع ، وليس هذا إلا تحاملاً من الفضل على أبي العتاهية ،
وكان البرامكة يكرهون منه اتصاله بالفضل بن الربيع ، وهو منافسهم
السياسي في دولة الرشيد ، وقد صحبه أبو العتاهية صحبة طويلة ،
ثم حدث ما قطع بينهما بسبب هؤلاء البرامكة بعد أن نكبهم الرشيد ،
وصاروا بحيث لا يرجو أحد منهم صنيعة ، وذلك أن الفضل ما زال
من أميل الناس إلى أبي العتاهية ، حتى رجع من خراسان بعد
موت الرشيد ، فدخل عليه أبو العتاهية فاستنشدته ، فأنشد :

أفئيتُ عمرك إداراً وإقبالا

تبغى البتين وتبغى الأهل والمالا

الموتُ هَوْلٌ فكن ما شئت ملتَمِسًا
 من هوله حيلةً إن كنت محقلا
 ألم تر الملك الأمسيَّ حين مضى
 هل نال حَيٍّ من الدنيا كما نالا
 أفناه من لم يزل يُفنى القرون فقد
 أضحي وأصبح عنه الملُكُ قد زالا
 كم من ملوكٍ مضى رَيْبُ الزمانِ بهم
 فأصبحوا عبراَ فينا وأمثالا

فاستحسنها الفضل ، وطلب إليه أن يعود إليه في وقت فراغه
 ليقعد معه ، ويأنس به ، فلما كان يوم فراغه صار إليه ، فبينما هو
 مقبل عليه يستفسده ، ويسأله فيحدثه ، إذ أنشده :

ولى الشبابُ فما له من حيلةٍ
 وكسا دُؤَابَتِي المشيبُ خمارا
 أين البرامكةُ الذين عهدتهم
 بالأمس أعظمَ أهلها أخطارا

فلما سمع الفضل ذكر البرامكة تغير لونه ، ورأى أبو المتاهية
 الكراهية في وجهه ، فأرأى منه خيرا بعد ذلك . وقد حدث أبو

العتاهية بهذا الحسن بن سهل في دولة المأمون ، فقال له : لئن كان
ذلك ضَرَك عند الفضل بن الربيع ، لقد تفعلك عندنا ، ثم أمر له
ب عشرة آلاف درهم ، وعشرة أثواب ، وأجرى له كل شهر ثلاثة
آلاف درهم ، فلم يزل يقبلها دَارَةً إلى أن مات

ومن عتاب أبي العتاهية ما كان منه لأحمد بن يوسف ، وكان
صديقا له ، فلما خدَم المأمون وخص به ، رأى منه جَفَوَةً ،
فكتب اليه :

أبا جعفرٍ إنَّ الشريف يشيئني
تقايه^ه على الأخلاء بالوفـ^ر
ألم تر أن الفقر يُرجى له الفنى
وأن الفنى يُخشى عليه من الفقر
فإن نلت تيمناً بالذى نلت من غنى
فإن غناى فى التجهل والصبر

الاستعطاف

الاستعطاف

ومن شعر أبي العتاهية فى الاستعطاف ما كتب به إلى الرشيد
وهو فى سجنه :

يا رشيد الأمر أرشدني إلى
 وجه نجحى لأعدمت الرشد
 لا أراك الله سوءاً أبداً
 ما رأيت مثلك عين أحدا
 أعن الخائف وارحم صوته
 رافضاً نحيوك يدعوك يدا
 وابلائي من دعاوى آمل
 كلما قلت تداني بعدا
 كم أمتى بعد بعد غد
 ينقذ العمر ولم ألق غذا
 الزهد والحكمة :

زهدياته
 وأشعار أبي العتاهية في الزهد والحكمة والمثل ، وهي
 والأشعار التي بذل فيها كل جهده ، وأرثي فيها على الشعراء السابقين
 واللاحقين ، ونظم فيها ما استفاده من أهل العلم ، من السنن وسير
 السلف الصالح ، وما جرى من الحكم على السنة هذه الأمة وغيرها من الأمم
 وهذه نبذة من عيون شعره في هذا الباب ، من الزهد ونحوه
 مختارات منها
 قال موسى بن صالح الشهرزوري : أتيت سلفاً الخاسر فقلت

له: أنشدني لنفسك، فقال: لا، ولكن أنشدك لأشعر الجن
والانس، لأبي العتاهية، ثم أنشدني قوله:

صكنُ يَبْقَى له سَكْنُ ما بهذا يؤذن الزمنُ
نحن في دار نخبرنا ببلاها ناطق لسن
في سبيل الله أنفسنا كلنا بالموت مرتين
كل نفس عند ميقتها حظها من ماها الكفن
إن مال المرء ليس له منه إلا ذكره الحسن

وقال الفضل بن الربيع لأبي العتاهية: يا أبا إسحاق، ما
أحسن بيتين لك وما أصدقهما! قال وما هما؟ قال قولك:

ما الناس إلا للكثير المال أو

لمسلط ما دام في سلطانه

فإذا الزمان رماها ببلية

كان الثقات هناك من أعوانه

وقال عبدالله بن الحسن بن سهل: قلت لأبي العتاهية أنشدني

من شعرك ما يستحسن، فأشدني:

ما أسرع الأيام في الشهور

وأسرع الأشهر في العمر

ليس لمن ليست له حيلة
موجودة خير من الصبر
فاخْطُ مع الدهر اذا ما خطا
واجر مع الدهر كما يجري
من سابق الدهر كما كبوة
لم يُسْتَقْلَهَا آخر الدهر
وقال أبو تمام الطائي لأبي العتاهية خمسة أبيات ما شرَكَ فيها
أحد ، ولا قدر على مثلها متقدم ولا متأخر ، وهي قوله:
الناس في غفلاتهم ورعا المنية تطحن
وقوله لأحمد بن يوسف:
ألم تر أن الفقر يرجي له الغنى
وأن الغنى يخشى عليه من الفقر^(١)
وقوله في موسى الهادي:
ولما استقَلُّوا بأقْصَاهُمْ
وقد أَرْمَعُوا للذي أَرْمَعُوا
قرنتُ التَّفْاقِي بآثارهم
وأتبعتهم مُقَلَّةً تدمع

وقوله :

هب الدنيا تصير اليك عفوًا

أليس مصير ذاك إلى زوال

والبيت الأول من قصيدته :

يا أيها المتسمن	قل لي لمن تتسمن
سممت نفسك لليل	وبطنت يا مستبطن
وأسأت كل إساءة	وظفنت أنك تحسن
مالي رأيتك تطعم	ن إلى الحياة وتركن
يا ساكن الحجرات ما	لك غير قبرك مسكن
اليوم أنت مكائر	ومفاخر تزين
وغدا تصير إلى القبو	ر محنط ومكفن
أحدث لربك توبة	فسبيلها لك ممكن
واصرف هواك لخوفه	مما تسر وتعلن
فكأن شخصك لم يكن	في الناس ساعة تدفن
وكان أهلك قد بكوا	جزعا عليك وتنفوا
فاذا مضت لك جمعة	فكانهم لم يحزنوا
والناس في غفلتهم	ورحا المنية تطحن

مَا دُونَ دَائِرَةِ الرَّدَى حِصْنٌ لِمَنْ يَتَحَصَّنُ
وَالْبَيْتَ الْأَخِيرَ مِنْ قَصِيدَتِهِ :

تَعَيَّ نَفْسِي إِلَى مَرِّ اللَّيَالِي
تُصَرِّفُنَّ حَالًا بَعْدَ حَالٍ
فَالَى لَسْتُ مُشْغُولًا بِنَفْسِي

وَمَا لِي لَا أَخَافُ الْمَوْتَ مَا لِي
لَقَدْ أَيقَنْتُ أَنِّي غَيْرُ بَاقٍ
وَلَكِنِّي أَرَانِي لَا أَبَالِي
وَمَا لِي عِبْرَةٌ فِي ذِكْرِ قَوْمٍ

تَقَاوَوْا رُبَّمَا خَطَرُوا بِيَالِي
كَأَنَّ مُرَضًى قَدْ قَامَ يَمْشِي
بِنَعَشِي بَيْنَ أَرْبَعَةِ عِجَالٍ
وَخَلَقَ نِسْوَةً يَبْكِينَ شَجْوًا

كَأَنَّ قُلُوبَهُنَّ عَلَى مَقَالٍ
سَأَقْنَعُ مَا بَقِيَتْ بِقُوَّتِ يَوْمٍ
وَلَا أَبْغِي مَنَافَةَ بِمَالٍ
تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَامَ ابْنِ عَمْرٍو
أَذَلَّ الْخُرُصَ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ

هَبِ الدُّنْيَا تُسَاقُ إِلَيْكَ عَفْوَاً
أَلَيْسَ مُصِيرُ ذَاكَ إِلَى زَوَالٍ
فَمَا تَرْجُو بِشَيْءٍ لَيْسَ يَبْقَى
وَشَيْكَاً مَا تَغْيِرُهُ اللَّيَالِي
وَحَقُّكَ كُلُّ ذَا يَفْنَى سَرِيعاً
وَلَا شَيْءٌ يَدُومُ مَعَ اللَّيَالِي
خَبِرْتُ النَّاسَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ
فَلَمْ أَرِ غَيْرَ خُتَالٍ وَقَالَ
وَذَقْتُ مَرَارَةَ الْأَشْيَاءِ طَرّاً
فَمَا طَعَمْتُ أَمْرًا مِّنَ السُّؤَالِ
وَلَمْ أَرِ فِي الْأُمُورِ أَشَدَّ وَقَعاً
وَأَصْعَبَ مِّنْ مَّعَادَاةِ الرِّجَالِ
وَلَمْ أَرِ فِي عَيُوبِ النَّاسِ شَيْئاً
كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى الْكَمَالِ
وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قَالَهُ فِي الزُّهْدِ الْقَصِيدَةِ الَّتِي ذَكَرْتُ فِيهَا سَبَقَ أَنَّهُ
قَالَهَا حِينَ قَطَعَ أَمَلَهُ مِنْ عَقِبَةِ^(١) وَلَكِنَّ الْخُطَابَ فِيهَا صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ
لِلدُّنْيَا لَا لَهَا :

قَطَّطْتُ مِنْكَ حَبَائِلَ الْأَمَالِ
وَوَحَّطَطْتُ عَنْ ظَهْرِ الْمَطْلَى رَحَالِي
وَيَسْتُ أَنْ أَبْقَى لَشَيْءٍ نِلْتُ مِمَّا
أَفِيكَ يَادُنِيَا وَأَنْ يَبْقَى لِي
فَوَجَدْتُ بَرْدَ الْيَأْسِ بَيْنَ جَوَانِحِي
وَأُرْحْتُ مِنْ حَلَمِي وَمِنْ تَرَحَالِي
وَلَمَّا يَسْتُ لَرُبِّ بَرَقَةٍ خُلِبِ
بَرَقَتُ لَذَى طَمَعٍ وَبَرَقَ آلُ
فَالآنَ يَادُنِيَا عَرَفْتُكَ فَاذْهَبِي
يَادَارَ كُلِّ تَشْتَتٍ وَزَوَالِ
وَالآنَ صَارَ لِي الزَّمَانُ مُؤَدِّبًا
فَغَدَا عَلَيَّ وَرَاحَ بِالْأُمُثَالِ
وَلَقَدْ أَقَامَ لِي الْمَشِيبُ نَعَاتَهُ
تُفْضِي إِلَيَّ بِمَفْرِقٍ وَقَدْ ذَالِ
وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ يُبْرِقُ سَيْفَهُ
بِيَدِ الْمُنْيَةِ حَيْثُ كُنْتُ حَيَالِي
وَإِذَا اعْتَبَرْتُ رَأَيْتُ خُطْبَ حَوَادِثِ
يَحْزِينِ بِالْأَرْزَاقِ وَالْأَجَالِ

وإذا تناسبت الرجالُ فما أرى
نسباً يُقاسُ بصالح الأعمال
وإذا بحثُ عن التقى وجدتهُ
رجلاً يصدقُ قوله بفعال
إلى أن قال :

يأيها البطرُ الذي هو في غدي
في قـ————بره متفرق الأوصال
حذف المنى عنه المشمرُ في الهدى
وأرى منك طويـلة الأذيال
ولقل ما تلقى أغرَّ لنفسه
من لاعبٍ مَرَحٍ بها مختال
يأتاجر الغنى المضرَّ برشده
حتى متى بالغى أنت تعالى
مالي أراك لِحَرٍّ وجهك مخلقا
أخلقت يادنيا وجوه رجال
قست السؤالَ فكان أعظمَ قيمةً
من كل عارفةٍ جرتُ بسؤال

كن يا سؤال أشدَّ عقدَ ضنَّانةٍ

ممن يَضِنُّ عليك بالأموال
وَصْنِ الحامدَ ما استطتَ فانها

في الوزنِ ترجحُ بذلَ كل نوال
وإذا ابتليتَ ببذل وجهك سائلا

فابذله المتكبرم الفضال
وإذا خشيتَ تعذراً في بلدةٍ

فاشدُّ يدك بعاجل الترحال
واصبر على غير الزمان فانما

فرجُ الشدائدِ مثلُ حلِّ عقال

وروى أنه جلس في دكان وراق ، فأخذ كتابا فكتب على

ظهره على البليهة :

ألا إننا كلنا بائد	وأى بنى آدم خالد
وبئذ هم كان من ربهم	وكل إلى ربه عائد
فيا عجباً كيف يعصى إلا	ه أم كيف يحجده الجاحد
ولله في كل تحريكة	وفى كل تسكينة شاهد
وفى كل شيء له آية	تدل على أنه الواحد

ولما أنصرف اجتاز أبو نواس بالموضع فرأى الأبيات فقال :
 من هذا ؟ فقيل له : لأبي العتاهية ، فقال : فلوددت هالي بجميع شعري
 وقال أيضا :

أُقيتَ مالكَ ميراثًا لو ارثته
 فليت شعري ما أبقى لك المالُ
 القومُ بعدك في حال تسرُّهمُ
 فكيف بعدهم دارت بك الحال
 ملكوا البكاء فما يبكيك من أحدٍ
 واستحكم القليلُ في الميراثِ والقال

أخذه من قول الحسن : يا ابن آدم ، أنت أسير في الدنيا ،
 رضىت من لنتها بما ينقضى ، ومن نعيمها بما يمضى ، ومن ملكها
 بما ينفد ، فلا تجمع الأوزار لنفسك ولأهلك الأموال ، فاذا تمت
 حُمِلَتِ الأوزارُ لنفسك ولأهلك الأموال
 وقال فى الصاحب الصادق :

وإني لمشتاقٌ إلى ظلِّ صاحبٍ
 يروقُ ويصفو إن كدَّرتُ عليه
 عذرى من الإنسان لا إن جفوتُه
 صفالى ولا إن كنت طوغَ يديه

وقال وهو من غرر شعره :

قام الخلى لأنه خلو
عمن يورق عينه الشجو
ما إن يطيب لذي الرعا
بة للأيام لا لعب ولا لهو
إذ كان يسرف في مسرته
فيموت من أعضائه جزو
وإذا المشيب رمى بوهنته
وهت القوى وتقارب الخطو
وإذا استحال بأهله زمن
كثر القذى وتكدر الصفو

قال اسحاق الموصلي : أنشدني إسحاق بن مخلد الرازي لأبي

المتاهية هذه الأبيات ، فقلت ما أحسنها ، فقال : أهكذا تقول ؟

حقا إنها روحانية بين السماء والأرض

وقال وقد أخذه من قول بعض الحكماء : حلوا الدنيا مرا الآخرة ،

ومر الدنيا حلوا الآخرة ، وإن كل كلام في غير ذات الله لغو ، وكل

فكرة لغو الله سهو ، وكل عمل لغو الله لهو :

الصمت في غير فكرة سهو

والقول في غير حكمة لغو

ومن بغى السرور فالتنزه عن

حب فضول الدنيا هو السرور (١)

(١) السرور هو المروءة في شرف

تَسَلَّ عنها فلها لَعَبٌ
تَفَى سَرِيحاً وإِنها لَهَوٌ
وَإِنَّ حُلُوَ الدُّنْيَا غَدَاً غَيْرَ مَا
شَكَّ لَمُرٌّ وَمُرَّهَا حَلَوٌ

ومن بدائعه في الحكمة أَرْجُوزَتُهُ المزدوجة ، التي سماها ذات مزدوجته
الأمثال ، وتبلغ في الطول ما لم يبلغه شعر قبلها ، ويقال أن فيها أربعة
آلاف مثل ، وهي تجديد عظيم في الشعر العربي بما بلغته من هذا
الطول ، وبقافيتها المرنة التي مكنته من المضي فيها إلى هذا الحد ،
ولعلها أول محاولة للتخلص من قيد القافية في الشعر العربي ، وقد قال
أبو دلف محمد بن هاشم الخزاعي : تذكروا يوما شعر أبي العتاهية
بمحضرة الجاحظ ، إلى أن جرى ذكر أَرْجُوزَتِهِ المزدوجة التي سماها
ذات الأمثال ، فأخذ بعض من حضر ينشدها ، حتى أتى على قوله :

يَالشَّبَابِ المَرَحِ التَّصَايِي روائحُ الجنة في الشباب

فقال الجاحظ للمنشد : قف ، ثم قال انظروا إلى قوله (روائح
الجنة في الشباب) فإن له معنى كمعنى الطرب الذي لا يقدر على
معرفته إلا القلوب ، وتعجز عن ترجمته الألسنة إلا بعد
التطويل ، وإدامة التفكير ، وخير المعاني ما كان القاب إلى قبوله

أصرع من اللسان إلى وصفه ، وقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني منها
هذه الأبيات :

حَسْبُكَ مَا تَبْقِيهِ الْقَوْتُ

مَا أَكْثَرَ الْقَوْتُ لِمَنْ يَمُوتُ

الْفَقْرُ فِيمَا جَاوَزَ الْكَفَافَةَ

مَنْ اتَّقَى اللَّهَ رَجَا وَخَافَا

هِيَ الْمَقَادِيرُ فَلَمْ يَنْبِ أَوْ قَدَرُ

إِنْ كُنْتَ أَخْطَأْتُ فَمَا أَخْطَا الْقَدَرُ

لِكُلِّ مَا يُؤْذَى وَإِنْ قَلَّ أَلَمُ

مَا أَطْوَلَ اللَّيْلَ عَلَى مَنْ لَمْ يَنْمَ

مَا انْتَفَعَ الْمَرْءُ بِمِثْلِ عَقْلِهِ

وَخَيْرُ ذَخْرِ الْمَرْءِ حَسَنُ فِعْلِهِ

إِنْ الْفَسَادَ ضَدَّهُ الصَّلَاحُ

وَرَبُّ جِدَّةٍ جَرُّهُ الْمَزَاحُ

مَنْ جَمَلَ النَّعَامَ عَيْنًا هَلَكَ

مِثْلُكَ الشَّرُّ كِبَاغِيهِ لَكَا

إِنْ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجِدَّةَ

مُفْسِدَةٌ لِمَنْ أَيْ مُفْسِدَةٌ

يغنيك من كل قبيح تركه
 يترن الرأى الأصيل شكه
 ما عيش من آفته بقاؤه
 نقص عيشاً كله فناؤه
 يارب من أسخطنا بجوده
 قد مرنا الله بغير حمده
 ما تطلع الشمس ولا تغيب
 إلا لأمر شأنه عجيب
 لكل شيء معدن وجوهر
 وأوسط وأصغر وأكبر
 من لك بالمحض وكل ممترج
 وساوس والصدور منه تعتلج
 وكل شيء لاحق بجوهره
 أصغره متصل بأكبره
 ما زالت الدنيا لنا دار أذى
 ممزوجة الصفو بألوان القذى
 الخير والشر بها أزواج
 لذا نتاج ولذا نتاج

من لك بالحض وليس محض
يخبث بعض ويطيب بعض

لكل إنسان طبيعتان
خير وشر وهما ضدان

إنك لو تستنشق الشحيحة
وجدته أنتن شيء ريجا

والخير والشر إذا ماعد
بينهما بون بعيد جدا

عجبت حتى غمى السكوت
صرت كأنى حائر مبهوت

كذا قضى الله فكيف أصنع
الصمت إن ضاق الكلام أوسع

قال أبو الفرج: وهى طويلة جدا ، وإنما ذكرت هذا الكلام

منها ، حسب استباق الكلام من صفتها

مأخذه

قد ذكرنا أن من الناس من كان لا ترضيه طريقة أبي العتاهية المتحاملون في إثاره سهولة الشعر على غيرها ، فيخرجه بذلك من زمرة فحول عليه الشعراء في عصره ، ولقد أدينا في الفصول السابقة بعض ما يجب علينا لهذا الشاعر العظيم ، ولم نعبأ بذلك التحامل عليه في شعرة وزهده وعقيدته .

وسنذكر في هذا الفصل بعض ما أخذ عليه في شعره ، وُعد من عيوبه ، ولم يسلم شاعر في القدماء والمحدثين من أشياء تؤخذ عليه ، وسيئات تذكر بجانب ماله من المحاسن

فما أخذ عليه أنه كان أحياناً يفرط في السهولة التي آثرها في إفراطه أحياناً الشعر ، وينزل فيها إلى اللغة الدارجة بين الناس ، والذي أراه في في السهولة هذا أنه يجب أن يتوسط في الشعر بين اللغة الدارجة ، وبين لغته القديمة المتكلفة ، وقد أخذ عليه في ذلك قوله :

ألا يا عُبَيْةُ السَّاعَةِ أموت السَّاعَةِ السَّاعَةِ

وقد قيل لأبي بَرَزَةَ الأعرابي ، أحد بني قيس بن ثعلبة :

أيمجيك هذا الشعر ؟ فقال : لا والله ما يعجبني ، ولكن يعجبني
قول الآخر :

جاء شقيق عارضا رحمه
إن بنى عمك فيهم رماح
هل أحدث الدهر بنا نكبة
أم هل رقت أم شقيق سلاح
أى نقت فيه حتى لا يعمل شيئا

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، وكان ينكر على أبي العتاهية :
أنكر الرشيد على طغى على أبي العتاهية في شعره ، فقلت :
يا أمير المؤمنين ، هو أطبع الناس ، ولكن ربما تحرف ، أى شيء
من الشعر قوله :

هو الله هو الله ولكن يغفر الله

وقال أبو عبيد الله المزرباني : وما أنكر على أبي العتاهية
من سفساف شعره قوله في عتبة :

ولهي جها وصيرني
مثل جحى شهرة ومشخلة

وقوله :

أيا واهيا لذكر الله يا واهيا ويا واهيا
لقد طيب ذكر الله بالتسبيح أفواها
أرى قوما يتيهون حشوشاً رزقوا جاهها
فما أنتن من حشٍ على حش إذا تاهها

وإني أرى أن هذه الأبيات الأخيرة لا يصح إنكارها ، ولا
يؤخذ فيها شيء على أبي العتاهية ، لأنها لا تنزل إلى تلك اللغة
التي أنكرنا نزول الشعر إليها

وقال علي بن أبي المنذر العروضي لما مات سعيد بن وهب
الشاعر ، حضر أبي جنازته ، وحضرها الفضل بن الربيع ، وكان
قد ظهر أيام المأمون ، فلما دفن أثنى عليه الفضل بن الربيع ، وأقبل على
أبي العتاهية يحدثه أنه أودع القضاة والعدول أموالاً فافوا له ،
وأنه أودع سعيد بن وهب مالا فوفى به ، فقال أبي لأبي العتاهية
ألا ترثيه ، قال بلى ، قال أبي : ثم صرت بعد أيام إلى الفضل بن
الربيع ، فأخرج إلى رقعة فقال : اقرأ مرثية أبي العتاهية لسعيد بن
وهب ، فإذا فيها :

مات والله سعيد بن وهب

رحم الله سعيد بن وهب

يا أبا عثمان أبكيت عيني

يا أبا عثمان أوجعت قلبي

فقلت : ما أدري ما أقول ؟ فقال الفضل : أبو العتاهية بأن

يرثني في حياته أولى من سعيد بعد موته . قال الصولي وله شبيه بهذا

في محمد بن يزيد المسلمى :

قد مات خلى وأنسى محمد بن يزيد

ما الموت والله منا خلافةً بسعيد

قال أبو عبيد الله المرزبانى : وقوله في مريثة عيسى بن جعفر

أشبهه بقوله في سعيد بن وهب مما ذكره الصولي ، وهو :

بكت عيني على عيسى بن جعفر

عفا الرحمان عن عيسى بن جعفر

ويمكن أن يعتذر عن أبي العتاهية في هذا وأشباهه بأنه مما

كان يقوله في حديثه السائر ، ولا يريد به الشعر ، ويؤيد هذا ما رواه

أبو الفرج الأصبهاني في رثائه لسعيد بن وهب عن بعض أصحاب

أبي العتاهية ، قال : جاء رجل إلى أبي العتاهية ونحن عنده ، فسارّه

في شيء ، فبكى أبو العتاهية ، فقلنا له : ما قال لك هذا الرجل يا أبا

سحاق فأبكاك ؟ فقال وهو يحذثنا لا يريد أن يقول شعرا :

قال لي مات سعيد بن وهب رحم الله سعيد بن وهب
يا أبا عثمان أبكيت عيني يا أبا عثمان أوجعت قلبي

قال فمجبنا من طبعه ، وأنه يحدث فكان حديثه شعرا موزونا
وإني أرجح هذه الرواية على الرواية الأولى ، لورودها عن شاهد
هذا الشعر حين قاله أبو العتاهية ، ولعل الفضل بن الربيع غير فيه
ذلك التغير ، ورواه بذلك الشكل ، ليطعن به على أبي العتاهية ،
وهذا بعد أن فسد ما بينهما ، على ما ذكرنا في الكلام على عتابه ^(١)
ومما أنكر على أبي العتاهية قوله :

ضعف بعض

معانيه

حلاوة عيشك ممزوجة فماتأكل الشهد إلا بسم
فالمعنى صحيح ، لأنه جملة مثلاً لبؤس الدنيا المازج لنعيمها ،
والعبارة غير مرضية ، لأننا لم نر أحداً أكل شهداً بسم ، وأجود
من قوله لفظاً ، وأصح معنى ، قول ابن الرومي :

وهل خلة معسولة الطعم تُجتنى

من البيض إلا حيث واش يكيدها

التضمين في

شعره

وأنكر عليه أيضاً قوله :

يا ذا الذي في الحب يلحى أما والله لو كلفته منه كما

كَلَفْتُ مِنْ حَبِّ رَخِيمٍ لَمَّا كُلتُ عَلَى الْحَبِّ فَذَرْنِي وَمَا
الْقَى فَاَنى لَسْتُ أَدْرِ بِمَا بُلِيتُ إِلَّا أَنى بَيْنَمَا
أَنَا بِيَابِ الْقَصْرِ فِى بَعْضِ مَا أَطُوفُ فِى قَصْرِهِمْ إِذْ رَمَى
قَلْبى غَزَالٌ بِسَهَامٍ فَمَا أَخْطَا بِهَا قَلْبى وَلَكِنَّمَا
سَهْمَاهُ عَيْنَانِ لَهُ كَلِمَا أَرَادَ قَتْلَى بِهِمَا سَلَامًا

فإن هذا من الشعر المضمن ، والتضمين عيب عندهم من عيوب
الشعر ، وخير الشعر عندهم ما كان قائما بنفسه ، وخير أبياته ما كفى
بعضه دون بعض ، مثل قول النابغة الذبباني :

وَلَسْتُ بِمُسْتَبِقٍ أَخَا لَا تَلَهُهُ عَلَى شَعَثِ أَى الرِّجَالِ الْمَهْذَبُ
فلو مثل إنسان ببعضه لكفاه ، إن قال « أَى الرجال المهذب »
كفاه ، وإن قال « لست بمستسبق أخا لا تله على شعث » كفاه ،

رأى فى التضمين
وإنى لا أرى رأيهم فى عيب هذا التضمين ، ولست أدري لماذا
لا نجيز فى الشعر العربى هذه القطعة الشعرية البارة المتماسكة ،
ولا لماذا نصر على أن كل بيت فى القصيدة يجب أن يكون وحدة
مستقلة بنفسها ، وقد رأينا كثيرا من أدباء عصرنا يعيب هذا على
القصيدة العربية ، ويرى أنه يجب أن تكون القصيدة كلها وحدة
متماسكة ، وقد كان أبو العتاهية لا يمتزف بعلم العروض ، ويرى

نفسه أكبر منه ، كما قدمنا في الموازنة بينه وبين بشار وأبي نواس^(١)
فلا يصح أن يؤخذ ذلك عليه ، وهو خلیق بأن يعد من حسناته ،
ويحسب له فيما أحدثه من تجديد في الشعر وأوزانه وقوافيه .

ومما يؤخذ عليه أنه كان أحيانا يعدو على معاني غيره ، فيصوغها أخذه من غيره
في ألفاظ من عنده ، وقد يحسن التصرف فيها حتى يخفى أخذها ،
حدث جعفر بن الحسين المهلبی أن أبا العتاهية أنشده قوله :
يا من رأى قبلي قتيلا بكى من شدة الوجد على القاتل
فقال له : يا أبا إسحاق ، هذا قول صاحبنا جميل :
خليلي فيما عشتما هل رأيتما قتيلا بكى من حب قاتله قبلي
فقال : هو ذاك يا ابن أخي ، وتبسم
وروى أن بشارا قال له : أنا والله أمتع حسن اعتذارك من
دمعك حيث تقول :

كم من صديق لي أساء رقة البكاء من الحياء
فاذا تأمل لا مني فأقول ما بي من بكاء
ليكن ذهب لأرتدي فطرفت عيني بالزداء
فقال له أبو العتاهية : لا والله يا أبا معاذ ، ما لذت إلا بمعناك ،

ولا اجتنيبت إلا من غرسك ، حيث تقول :

شكوتُ إلى الفواني ما ألقى وقلتُ لمن ما يومى بعيدُ
فقلن بيكتَ قلتُ لمن كلاً وقد يبكي من الشوق الجليدُ
ولسكنى أصاب سواد عيني عويدُ قذَى له طرف حديدُ
فقلن فما لدمعها سواد أكلتْنا مقلتيك أصاب عودُ

وهذه كلها هبات لا تعيب شعر أبى العتاهية ، وما هى إلا
قطرات فى بحر ، فلا تؤثر فيه بشيء

ما جمع من شعره هذا وقد كان أبو العتاهية أحد ثلاثة شعراء لم تمكن الأحاطة
وما ضاع منه بشعرهم لكثرة ، وثانهم بشار بن برد ، وثالثهم السيد الحميرى ،
وكان أبو العتاهية أكثرهم شعرا ، ويوجد الآن من شعره ديوان
مطبوع فى جزئين . أولهما فى الزهد ، وثانيهما فى الأغراض الأخرى ،
وقد جمعه أحد القُسُوسِ اليَسُوعِيِّينَ ، نقلًا عن رواية النجَريِّ ، وكتب
مشاهير الأدباء ، مثل الأصبهاني ، والمبرد ، وابن عبد ربه ،
والمسعودى ، والمأوردي ، والغزالي ، وغيرهم ، وقد طبع فى مدينة
بغروت سنة ١٣٠٥ هـ ، ١٨٨٦ م

فهرس الكتاب

الصفحة -	الموضوع
٣	الخطبة
٤	تمهيد
٤	شيوخ شعر أبي العتاهية في العالم ٦ - ندرة الشعر العالمي
٩	في العربية - ٩ - إصلاح الاسلام في الشعر - ١١ - إهمال بني
١٢	مروان ذلك الاصلاح ١٢ - النهضة الشعرية في صدر
	الدولة العباسية .
١٥	أبو العتاهية و بشار وأبو نواس
١٥	١٥ - حال الثلاثة في النهضة الشعرية . أثرهم في ألفاظ الشعر
	ومعانيه ١٩ - أثرهم في طريقته ٢٣ - أثرهم في أغراضه
	٢٦ - أثرهم في أوزانه وقوافيه ٢٧ أبو العتاهية أعظمهم أثرا
٢٨	ترجمة أبي العتاهية
٢٨	عصره ٢٩ نشأته في الكوفة ٣١ انتقاله إلى
	بغداد واتصاله بعتبة ٣٣ اتصاله بها لغير الحب ٣٩ بمض
	من نوادره معها ٤١ أشعاره فيها ٤٤ اتصاله بالمهدي .
	ارتفاعه في دولته ٤٦ موقف عظيم له معه ٤٨ مدائح

الصفحة - الموضوع

- فيه ٤٩ ملازمة نسيبه لعصره ٥٠ غضب الهادي عليه
 ٥١ رضاه عنه ٥٢ مدائحه فيه ٥٤ نسكه في عهد
 الرشيد . اختلاف الروايات فيه ٦١ اختلاق بعضها لتشويهه
 ٦٢ إرجاعه إلى نشأته ٦٤ محاولته في عهد المهدي ٦٥ سر
 إنكار العباسيين له ٦٨ تردده فيه أيام الرشيد ٦٩ مدائحه
 فيه ٧١ نسكه في عهد الأمين ٧٣ تقريب المأمون له
 ٧٤ أثر زهدياته في ملكه ٧٦ وفاته
 ٧٨ عقيدته الدينية والسياسية
 ٧٨ السياسة والزندقة . تشييعه للعلويين ٧٩ رميه بالزندقة
 ٨٣ تحقيق عقيدته ٨٥ إنكار التجسس الديني
 ٨٦ زهده وتكسيبه بالشعر
 ٨٦ طعنهم به في زهده ٨٨ طعنهم فيه ببخله ٩٠ إبطال
 طعنهم ٩٢ شرفه في تكسيبه ٩٥ تبخيله كل الناس
 ٩٧ تحامقه
 ٩٧ رميه بالحق . ما يروى من حماقاته ١٠١ تلخيصها
 من تهمة الزندقة
 ١٠٤ منزلته في الشعر

الصفحة - الموضوع

١٠٤ زعامته لضيقته . تقديم أبي نواس له ١٠٥ كيف

كان شاعر الشعب ١٠٧ إشاره سهولة اللفظ ١٠٩ قدرته

على تفخيمه ١١١ موازنة بينه وبين أبي نواس ١١٢

رأيه في شعره ١١٤ تحقيق روايته

١١٦ فنونه الشعرية

١١٦ تصرفه فيها قبل زهده . غزله وخصائصه ١١٧

مختارات منه ١٢٠ مدحه وخصائصه ١٢٣ مختارات

منه ١٢٦ رثاؤه وخصائصه ١٢٧ مختارات منه ١٢٩

هجاؤه وخصائصه . هجاؤه ببغداد ١٣٢ هجاؤه بالكوفة

١٣٦ غتابه وخصائصه ١٣٧ مختارات منه ١٤١

الاستعطاف ١٤٢ زهدياته وخصائصها . مختارات منها

١٥٣ مزدوجته ذات الأمثال

١٥٧ مأخذه

١٥٧ المتحاملون عليه . إفراطه أحيانا في السهولة ١٦١ -

ضعف بعض معانيه . التضمنين في شعره - ١٦٢ - رأيي

في التضمنين - ١٦٣ - أخذه من غيره - ١٦٤ - ما جمع

من شعره وما ضاع منه

خطأ و صواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢١	١٠	تقت	تقت
٣٠	١	فوجه	فوجه
٣٦	٨	حفي	خفي
٣٦	٨	تحي	تعدي
٧٥	٧	المأورن	المأمون
٨١	١٥	الملليك	الملك
٨٦	١٥	بين	بن
٨٨	١٧	لك مالك	لك من مالك
٩٢	١٧	الانكاو	الانكار
١١٣	٧	أيا موت	ألا يا موت
١٢٨	١٥	للجديدين	للجديدين
١٢٧	١٥	ذكرت	روى
١٥٦	١	لحض	بالحض





